فلنرتقي إذاً

" الجزء الأول "

[الطَّبعةُ الثَّانية]

المؤلّف : حُسام الحاتم .

عدد الصفحات : ١٠٥ .

تنمية فِكريَّة و روحيَّة .

إهداء

إلى تلك الّتي قلتُ لها ذات مرّة : لقد فعلتُ كذا و كذا من دون أجر !

فقالت لي : بُنيّ !

إنَّما الأجرُ على الله سبحانهُ و تعالى ، ألا يسرُّكَ أن يكونَ الأجر على ربِّ العباد !؟

مقدمة .

" بِسمِ اللهِ الرحمن الرحيم "

إن الحمدَ لله ، نحمده و نشكره و نستعين به .

و الصَّلاةُ و السّلامُ على نبيِّهِ و حبيبِهِ و قُرَّةِ أعيُنِنا مُحمَّد ﷺ ؛ خيرُ نبيٍّ أرسله .

أمَّا بعدُ :

في هذا الكُتيّب الذي بين يديك ، قد يُغيّر من تفكيرك قليلاً ، و قد تصل إلى مرحلة تُناقش فيها نفسك في أشياء كُنت تعتقد أنّها من الحاجات المُهمّة في حياتِك ، و لكن قد تكون لها مضرَّة لم تكُ مُنتبهاً لها .

فإن تحكّم الإنسان بنفسه ، و تمكّن أن يُغيّر كل ما هو سلبيّ كان يفعله ، و يُبدّل مكان كُل حاجة سلبيّة ، حاجة إيجابيّة .. سيفلح .

فالمجتمعُ الساذج ، الذي يقبل بكل ما هو سلبيّ ، يلزمهُ أُناس لا يقبلون الباطل و إن كان مُنتشراً ، بل و إن كان مُلزمٌ به !

قد يكون المرء لا يمكنه تغيير من حوله ، و لكن ، و بكُل تأكيد ، قادر على تغيير نفسه إن توكّل على الخالق سبحانه و تعالى ، و النجاح يأتي عندما يتمكّنُ المرء في البداية من إصلاح ذاته .

كُلُّ ما في الأمر هو أن يُفكّر كلٌّ منّا بتمعُّن في كُل حاجة فعلها ، و يداوم على فِعلِها ..

لكي يتمكّن من بعد ذلك الوصول إلى مرحلة الإدراك ..

و أن يفهم كُل ما حوله ، و يتبصّرَ الأحداث التي تجري بشكلٍ مُباشر و غير مُباشر ، و يميز الحق من الباطل ، و الفعل الحسن من الفعل القبيح ...إلخ.

و الآن .... قراءة مُمتعة .

الارتقـاء :

لم يكُن الارتقاء بثوبِك ، و لا بنعلِك الذي من أجلهِ تبيتُ في متجرِ الألبسة مدّة طويلة لتختار ما هو مُلفتٌ للأنظار ، ما هو نادرٌ في الأسواق ، ما هو غالٍ ..إلخ

لا يكمُن الارتقاء في العربيّ الذي يتقن اللغة الإنكليزيّة ، و إن سُئل عن كلمة عربيّة لا يعلم معناها !

لا يكمُن الارتقاء في من همّهُ ، أن يرى النّاس أفعاله ، أعماله ، أقواله ، و ما يسعى إليه ..

الارتقاء بعيد جدّاً عن التّفاهة .

يكمُن الارتقاء في من يرتقي بنفسه ، يعلم عن نفسه و عن مُعتقده جيّداً ، ثم يعلم عن غيره .

في من أدرك و علِم الأحداث الّتي تجري حوله .

في مَن يصل إلى مرحلة ، يُسمّى بالمُعقّد بالنّسبةِ للجاهل .

في مَن يحكُم على الأمورِ بالشّرعِ و العقلِ ، لا بعواطفهِ و العاداتِ الّتي اكتسبها .

في مَن يرى نفسه أنّه سيُحاسَب على كل غلطة يفعلها ،و إن كانت هذه الغلطة عادة طبيعية من عاداتِ المجتمع .

في من يعلم أنَّ الأخلاق النّابعة و النّاتجة عن الإنسان ، ناتجة عن علم ، و ليس عن جهل .

في العاقل ، الَّذي قَلّما اشتهى شيئاً فأخذه ، و (العاقل) مُصطلح يُطلق على مَن يُفكّر بعقلانيّة ، و خارج عن الغفلة .

و ليس كمن يرى في المُخطئ صفة الشّطارة ، و تشيع مقولة : **حلال على الشّاطر** على لسان الجاهل عندما يرى مَن أجهل منه .

ذلك المغرورُ بنفسه ، الذي ينظر إلى الناس باشمئزاز ، و يرى كل من حوله مجرد أُناس من جنسٍ بشريّ حيواني ، فلا يتعامل معهم بالحُسنى استحياءً منه ، و إذا تفضّل و تكلّم ، تشعر و كأنَّ الكلام خرج من مخرج ثان .

هذا نفسه ، جُلَّ من يراه .. يظنُّهُ راقي !

و شتّان بين الراقي و المُتكبّر !

و لكن مع الأسف ، القليل من يُفرّق ، و الكثير من يخلط الحق بالباطل .

ألا يتدبّر هؤلاء القرآن ، عندما يقول الحقُّ سُبحانهُ و تعالى : و إذ قُلنا للملائِكَةِ اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى و استكبر و كان من الكافرين . البقرة.

إبليس أبى و استكبر ، و النتيجة معروفة !

فلما الجهلُ إذاً ؟

أيُّ عالمٍ هذا الذي يرى الكِبر من الرقيّ ؟

و أيُّ عالمٍ هذا الذي لا يفقه إلّا في التّفاهة !؟

المُصيبة هي رجوع العقول إلى الخلف ، بلِ الرجوع إلى عصر الجّاهليّة !

_ كيف !؟

كأن يرى أحدهم أنَّ التّبرُّج من الرُّقي و من الانفتاح و التحرُّر العقلي من الجمود و إلخ من المُصطلحات التي تُطلق على هذا .

في الجاهلية كان هُنالك من يخضع لما تشته نفسه ، بل و يعبدها أيضاً ، و لكن عندما انقرض ذلك الزّمان الذي كانت فيه الفتاة تتمايلُ بالمشي ميلان الجاهل إلى الضلالة ، تلبس ما يثيرُ شهوة الرّجُل ،، و الزِّنا المُنتشر في ذلك الوقت ، و شربُ الخمر كشُربِ الماء ..الخ.

و بعد ما أتى الزّمن الّذي فهّم الإنسان أنَّ له عقلٌ يجب أن يستخدمه أكثر ممّا يستخدم شهوتهِ ..

أتى بنا الحال ؛ إلى الرّجوعِ لذلك الزمن ، الَّذي مُنِعنا مِن عاداتهِ .

و بعد أن عجِزَ المُسلم عن قراءة الكتُب الّتي تُساعد على تطوّر تفكيره ، بدأ بقراءة كتُب الفلاسفة الغربيَّة ، الّتي بيّنت للمُسلم زمن الجاهليّة كما كانت ، و لكن طريقة الطرح كانت تزيين لتلك العادات ، حتّى أن وصل أخانا المُسلم إلى قناعات ، ألا و هي : المرأة يجب أن تلبس ما تشاء ، فهي **حُرّة** ، و الشّاب ينظر ، لأنَّ غض بصره هذا سيؤدّي به إلى الهلاك ، و يجب أن نكونَ مُتعاونين مع الشّاب و الفتاة المُرتبطين بالسّر ، لأن العلاقة التي تجمع بينهم ، هي علاقة حب !

و نحن نحتاج إلى الحب ، لكي نستمر .

بل و شرّعوا الزّنا ، تحت مُسمّى الحُب ، و أطلقوا عليه اسمُ المُساكنة ، لذا لا تتعجّب من تشريع البعض و تأييدهم للدّعارة ، تحت مُسمّى ؛ تحرّر المرأة من القيود و إعطاء حقّها على أكمل وجه .

و تشريع العلاقات الشّاذّة تحت مُسمّى التطوّر ، و يجب للمرء أن يختار شريكه كما يريد ، و إن كان الشّاب يرى أنَّ الأنسب هو أن يربط دماغه بشاب آخر ، فما المانع ؟

لماذا يتدخلون أصحاب العقول المُتحجّرة في هذه المواضيع !؟

ما المانع من علاقة حُب حميميّة بين شاب و شاب، بين فتاة و فتاة !؟

ما المانع من انتشار مرض الإيدز ؟

أن يُسمّى الخمر (بيرا ، فودكا ، وسكي ..الخ) ، يصبح مشروعاً ، بل و يأتي ذلك الذي يبهرُك بنفسه عندما يشرب و يرى نفسه أنّه قد فعل كذا و كذا ، يتكلم بافتخار و كأنَّهُ أنجز في عملٍ يكادُ العمل أن ينطِق مِن إتقانه .

أن يُسمّى الزنا _ علاقة حب ، مُساكنة ، تحرّر للمرأة التي عاشت تحت الذّل طوال حياتها ..الخ _ يصبح مشروعاً ، بل و من الواجبات عند بعضهم ، و يأتي ذلك الذي يروي للنّاس قصصه مع النّسوة !

أن يصبح الحلال حراماً و الحرام حلالاً ، أن يرى أحدهم أنَّ الدّين لأهله ، بل و منهم من يرى الذي يعبُد الله على أكمل وجه ؛ بنظرة دونيّة ، مُتخلّف ، قليل العقل ، لا يُفكّر ..

و تسمعهم يضربون في الأمثال الشهوانيّة ؛ عِش اليوم ، و افعل ما شئت ، و خُذ ما تشتهي ، فأنت اليوم حي ، و غداً ميّت .

و قد قال أحدُهم : مِسكين ..

يعلم من داخل قلبه أنَّ الله هو الذي أنزل هذه الأحكام الشّرعيّة ، و مع ذلك يُحاربها (باسم مُحاربة المتدينين) و هو متيقّن أنَّ الله هو الذي خلقه !

قال تعالى : " أولم يروا أنَّ اللهَ الذي خلقهم هو أشد منهم قوّة "

فهل فعلاً صدّق نفسه أنّه سيغلب الله !؟

استيقظ .. !

قال تعالى : " إنَّ بطش ربّك لشديد " (١)

فمن هُنا ينتشر الإلحاد ، الإلحاد الذي هو بالأصل يمكن تسميته ديانة الشّهوات .

لا يزعجني في هذا السيناريو كلّه ، إلّا مَن أطلق على عبوديّة الشّهوة مصطلح (**التحرُّر العقليّ**) .

١* مشاري الخراز .

سُرق حذاء لعبد الله بن مسعود رضيَ اللهُ عنه ، فقال : اللهُمَّ إن كان مُحتاجاً فبارك له فيما أخذ ، و إن لم يكُن مُحتاجاً فاجعل هذا آخر ذنبٍ يذنبه .

هذا ما يُسمّى بالرُّقي ، بل و أعلى درجات الارتقاء .

فعلينا بالتّقرُّب مِن الله ، بتدبُّر كلام الله ، بقراءة سيرة النبيّ ﷺ ، أن نقرأ عن الصّحابة رضيَ اللهُ عنهم .

يجب على المُسلم أن يقرأ عن إبراهيم ﷺ عن علمه و شجاعته و قبوله للحق و رفضه للباطل .

يجب على المُسلمة أن تقرأ عن هاجر زوجة إبراهيم ﷺ ، و عن ثقتها الكاملة بالله عزَّ و جل ، و صبرها .

يجب علينا جميعاً أن نقرأ عن الأنبياء صلوات ربّي عليهم ، و عن أُمّهات المؤمنين رضي اللهُ عَنهُن ، و عن الصّحابة و التّابعين .

فليس مِنَ الجهل أن يأخُذ أحدنا هؤلاء كقدوة ، بل على العكس تماماً .

الـمقـصد الأول : الـنـعـمـة .

قال أحدهم : كُلّما أتذكر طريقة تفكيري ، و عقليتي بشكلٍ عام قبل سنوات ، أكره نفسي !

بل و أخجل من نفسي لو أردتُ أن أُحدّثَ بها غيري ، و لكن لا بأس ، سأذكُر لك أبسط الأمثلة .

_ اذكُر ما بدا لك .

_ ذلك الذي يُدخّن ، و بالأخص الَّذي يملك علبة تدخين مكتوب عليها : التدخين يقتل ، يسبب سرطان ، ...الخ*

تلك العلبة التي تُعرف بثمنِها و شكلِها ، و هيبتها . .

في الأعياد ، كانت النّاس تُسارع في عمل الخير ، بينما أنا كنتُ أُسارع إلى السوبر ماركت لكي أشتري تلك العلبة .

كُلّما كان يرتفع السّعر ، كُلّما كان ينتابني الشعور بالهيبة و الثّقة بالنّفس ، عندما أحمل بيدي تِلكَ العلبة فوق الجوَّال ، و أتمختر في مشيتي ، و أنظر إلى من حولي بنظرة دونيّة ، بل و أتذكّر في مرّة من المرّات ، أتى أحدهم و طلب منّي سيجارة ، و عندما رأى العلبة ، نظر إليها كنظرة الأسد إلى فريسته ..

كنتُ سُلطان زماني ، أقصد كنتُ أُفكّر ..

تاللهِ لو عَلِمَ المُدخّن رائحة فمه ، مثلما يشمُّه غير المُدخن ، لكان استحى أن يتباهى بهذا السّم .

_ صدقت .

تطوّرت الأمور ..

و لم يقتصر الأمر على التدخين فقط ، بل و في تميّزي باستماع الموسيقى ، و دعم بعضهم لي ، و هم يقولون : يا لذوقِكَ الرفيع في اختيارك لهذا النّمط للموسيقى ، يا لعظمة صوته ... و الخ..

كنتُ أستمع بطريقة ، أن يسمع كل من حولي ؛ أي ليس من المُهم أن أستمع لتلك المعازف ، بل كل همّي هو سماع غيري لما أسمعه أنا .

لم أكُ أعلم أنّني مصدر إزعاج بالنسبة لغيري .

كان أكبر همّي ، ثيابي ، تسريحة شعري ، علبة الدخان التي لا تُفارقني ..

لقد منَّ الله عليّ بنعمة المال و الوقت و الصحّة ، و لكن ..

و هذا أقل ما كنتُ أسعى إليه ، بل سعيت في أمور أُخرى أخجل مِن نفسي حين أتذكرُها .

و الآن عندما أرى النّاس و هم يُسارعون في مثل هذه الأعمال ، لم أقل سوى : الحمدُ لله الذي عافانا ممّا ابتلى ..

بل و أدعو الله لهم بالهدايةَ ..

و إن كانوا غرباء ، لا أعلم عنهم شيء .

اسأل الله أن يهدي شباب و بنات هذه الأُمَّة ، الّتي هي خيرُ أُمّةٍ أُخرِجَت للنّاس .

_ جزاكَ اللهُ خيراً .

مـبـد أ الـرِّضـا

أولاً : الرِّضا عنِ الذَّات :

إن كان المرءُ راضياً عن نفسه ، هذا لا يعني بالضرورة أنّه على حقٍّ بما يفعله ، فالمُدخّن قد يكون راضياً عن نفسِه ، و قد يكون اللصُّ راضياً في ما يفعله ، و إلى آخره .

النَّفس بحاجة إلى الغذاء ، و البني آدم حرٌّ في اختياره للغذاء ، فمن غذّى نفسه غذاءً فاسِدًا ، فسيكون الغِذاءُ الصَّالح صعب تَقبُّله .

و العكسُ ليس صحيحًا بالضّرورة ..

قد يسأل سائل ، و يقول : لماذا **!؟**

لك الحقُّ في هذا السّؤال .

إنَّ الله عزَّ و جل عندما أنعم على بني إسرائيل و أنزل عليهم المنَّ و السّلوى في عهد سيدنا موسى عليه السّلام ..

و كما نعلم أنَّ المنَّ مادّة لزجة كالعسل ، و السّلوى هو الطائر المعروف بالسّماني .

و لكن عدم تقديرهم لهذه النّعمة ، اشتَهَت أنفُسَهم ، لما هو أدنى ..

كما قال الله جلَّ و علا في سورة البقرة :

و إذْ قُلْتُم يا موسى لَن نَصْبِرَ على طَعامٍ واحد فادعُ لنا ربَّك يُخرج لنا مِمّا تُنبِتُ الأرضُ مِن بقلِها وقِثَّائها و فومِها و عدسِها و بصلِها قال أتستبدِلونَ الَّذي هو أدنى بالَّذي هو خير .

ردُّ موسى عليهِ السّلام عليهم كان في مكانه (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) ..

يُبيّن الله عزَّ و جل في هذه الآية الكريمة ، أنَّ هُنالك من لا يُقدّر النّعمة ، فيشتهي ما دون ذلك .

لأنَّ الإنسان **يشتهي** بطبيعته ، فهُنالك مَن علّم نفسه على السّوء ، فيشتهي كُل ما هو سيّء ، و لا تراهُ يسأم من ذلك ، لأنَّ اشتهاء السّوء تأتي على مراحل ، و مرحلة تلو الأخرى ، إلى أن يصل صاحبُنا إلى مرحلة قد لا ينفع النَّدم في وقتها ؛ لأنَّه قد أخذ بنفسِه إلى التَّهلُكة .

لا ننكُر أنَّ هُنالك من يندم في أوَّل رحلته ، و يُراجع نفسه ، و يتوب إلى بارئهِ ،

و أيضاً لا ننكُر مَن يسلُك طريق صحيح ، و لكن ملذّات الدُّنيا التي لا تُعد ولا تُحصى ، و كثرةُ من يعبدون ما تشتهي أنفُسهم ، قد تُغيّر منه ، و قد يُغيّر طريقه أيضاً !

كما قال الحقُّ سُبحانهُ و تعالى :

و اللهُ يُريدُ أن يتوب عليكم و يُريدُ الذين يتّبعون الشّهواتِ أن تميلوا ميلاً عظيماً .
النساء.

ففي هذه الآية بيانٌ من ربّ العالمين ، يُبيّنُ الله سبحانه و تعالى في هذه الآية الكريمة ؛ أنَّهُ يريد أن يتوب علينا ، لأنّه خلقنا و هو أعلمُ بضعفِنا ، و هو التّوّاب الرحيم .

و لكن ما يُريدونه الذين يتّبعون الشّهوات من المرءِ هو أن يتّبع أهواءه ، و ما تشتهِ نفسه ، و أن يترك الطريق الذي يصل به إلى الله ، و يسلك الطريق الَّذي يأخذ به إلى التّهلُكة .. و إلخ.

و في ذلك نقول : مبدأ الرّضا عن الذات ، يكمُن في مَن يكون راضياً بما قسمَ اللهُ له أوّلاً ، أي الرضا عن ما يملكه ، و هذا ما سنتكلّم عنه ..

و في ما يملك من هو أقلُّ منه ثانياً .

فالنّفس بحاجة إلى غذاءٍ جيّد ، و كذلك الجسدُ و الرّوحُ و العقل .

و قد يسأل سائل ، و يقول : كيف نُغذّي الرّوح و العقل !؟

سؤال جميل .

أولاً ، الرّوح ..

إن كانت العبادة لغير الله الواحد الأحد ، فهي ظلمٌ للنّفس ؛

كما قال سُبحانهُ و تعالى في سورة البقرة :

و إذ قالَ موسى لِقومِهِ يا قومِ إنَّكُم ظلَمتم أنْفُسَكم باتّخاذكُمُ العِجل .

و أيضاً قال الحقُّ سبحانه و تعالى في نفس السورة :

و ما ظَلمونا و لكن كانوا أنْفُسهُم يظلمون .

و كذلك مَن يؤمنون بالخُرافات ، و يذهبون إلى من يُفسّر لهم ، و قُرّاء فناجين القهوة ..و الخ .

و إذا قرأ بعضهُم آياتِ الله ، جحدوا بها .

كما قال الله سبحانهُ و تعالى في سورة النحل :

أفبِالباطلِ يؤمنونَ و بِنعمتِ اللهِ هُم يكفرون .

تاللهِ إنَّها لآية عميقة ، وإنَّها لتُذكّرني بكثيرٍ من النّاس .

من يعبد البقرة و يؤمن بها ، و يأتي يتفلسف على دين الله الحق ، و من خضع لشهوته (بل وأصبح عبداً لها) و في ذلك ألحد ، و بدأ يتكلّم في العلم ، و هو أجهل مِن أبعد النّاسِ عن العلم .

المسألة ليست كما يعتقد البعض !

المسألة ترتبط في شهوة الإنسان ، (و خُلِق الإنسانُ ضعيفا)النساء.

فعندما رأى المُلحد ، أنَّ دين الله يُحرّم ما تشته النّفس الإنسانية من كل سوءٍ، كالخمر و الزّنا ... و الخ .

ألحد لكي يفتح لنفسه بابًا من أبواب عبوديّةِ الشّهوة ، و في ذلك ظلم نفسهِ و ظلم روحهِ ، و إذا بحثت ، لرأيت أكثر مَن ينتحرون ملاحدة .

_ لماذا ؟

لأن لا **معنى** لحياةِ مَن يؤمِن بالصّدفةِ العمياء .

كما قال الرّحمن في سورة الجاثية :

و قالوا ما هيَ إلّا حياتُنا الدُّنيا نموت و نحيا وَ مَا يُهلِكُنا إلّا الدّهر

و ما لهُم بذلك من علم إن هُم إلّا يظُنُّون (٢٤)

و قوله سبحانه و تعالى : و ما لهُم بذلك من علم

و قوله في سورة الإسراء : و ما أوتيتُم من العلمِ إلّا قليلا .

و الكثير من هذه الآيات الكريمة ، قد بيّن ربُّ السّماوات و الأرض في ذلك ، للنّاس الذين لا يؤمنون إلّا بما ترى أعيُنهم ، مع العلم أنَّ الميكروبات و الفيروسات التي لا تُرى بالعين المُجرّدة ، موجودة من قبل ، و لكنَّ الإنسان لم يكتشف هذا إلّا من قبل سنوات قليلة ، و ذلك بواسطة الاختراع الذي اخترعه الإنسان ، و كلّما يتطوّر العلم كُلّما يكتشفُ هؤلاء أشياء أكثر و أكثر تدلُّ على حكمة الخالق .

مع العلم أنَّ المسألة لا تحتاج لكُل هذا ، فكُل مصنوع لهُ صانع ، كما في قانون السببية .

لذلك ، كُل ما في الأمر هو اختراع حُجّة تافِهة لأجلِ حُجّةٍ أتفَه ، فلا يغرُّك كثرة العُلماء في تسليكهم هذه الطرق ، لأن الأسباب كثيرة .

و أكثر هذه الأسباب هي شهوة النّفس .

و من هُنا أيضاً يجعلون المُستقيم مكروهاً ، لأن بكُل بساطة ، كُلَّما زاد اتّجاهُ المرءِ لعقلِهِ و روحهِ ، كُلَّما قلَّ مَن حولِه .

و في هذا نقول :

إيَّاك أن تظلم روحك ، كُن كمَن يسعى لآخرته كما شرّع الله ، و لا تكُن كمن يسعون بتشريعاتٍ من الهوى ، و بادر بالتقرّب من الخالق ، لا من المخلوق .

كما قال تعالى : و الذين آمنوا أشدُّ حُبَّاً لله . البقرة .

_ هذا عن الرّوح ، ماذا عن العقل ؟

تغذية العقل لا بُدَّ منها ، و الإنسان بحاجة شديدة إلى التَّثقُفِ و التَّعلُّمِ عن ما يجهل عنه ، فمن يعلم خيرٌ مِن مَن لا يفقه في شيء .

و لكن ..

قد يختار الإنسان نوع من الثقافة التي لا تُعتبر ثقافة من الأساس ؛ كأن يختار نوع من أنواع الكتُب ، أو يسمع لبعضهم ، فيما لا ينفعهُ و لا يضرُّهُ .

هذا أقلُّ مُصيبة من ذلك الّذي يقرأ فيما يضرُّه و لا ينفعه ، بل و يأخذ بهِ إلى التّهلُكة .

لذا يجب على الإنسان إن كان جاهلًا في أمرٍ ما ، فليبحث في هذا الأمر ، و إن كان هذا الأمر يُنمّي من مهاراته العقلية ، فليقرأ عنه ، و ليتثقّف أيضاً ، و إن كان هذا الأمر لا ينفعه في شيء ، عليه أن يبحث عن أمورٍ ثانية تنفعه .

مبدأ الرِّضا عن ما نَملُك :

و إن تعُدُّوا نِعمَتَ اللهِ لا تُحصوها (إبراهيم)

الإنسان وسط خبراته المتراكمة ، و أيضاً وسط أملاكه ، يرى نفسه ناقصاً ، ليس الكل ، و لكن الأغلبيّة .

و هذا بسبب النزعة الاستهلاكية ، و العقليّة التي بُنيت على الاستهلاك .

يجب أن نتيقّن أولاً ؛ أن كل ما يملكه الإنسان ، نِعَم مِنَ الله عزّ و جل ، فاليد التي نعمل بها لله ، و الأرض الذي نعمل فيها لله .

فالمؤمن التّقي ، يحمد ربَّهُ دائماً و أبداً ، مهما كانت الظروف .

و في ذلك ، قصّة عروة بنُ الزُّبير رحمه الله :

أصابه مرضٌ في رجله ، يُسمّى (الأكلة) ، فقالوا : نقطعُ قدمَك !

قال : لا .

فمشت الأكلة في رجله حتى وصلت إلى السّاق .

قالوا : نقطعُ السّاق !؟

قال : لا .

فمشت ، حتى أن وصلت قريباً من الرُكبة .

قالوا : لا بُدَّ أن نقطع من الركبة ، و إلّا ستموت !

فلمّا رأى أنَّ الأمر ليس بالهزل ، و أن لا بُد من قطع رجله ، فقال : اقطعوها .

فلمّا قُطعت رجلهُ و فاق من غيبوبته ، رأى رجلهُ قد قُطِعَت .

فقالوا : عظّم اللهُ أجرك في رجلك ، و عظّم الله أجرك في ولَدِك ، مات في وقت غيبوبتك .

فماذا قال عروة ؟

قال : اللهُمَّ لك الحمد ، لقد رزقتني أربعة أعضاء ، أخذت عضواً و أبقيت لي ثلاثة ، و رزقتني سبعة أولاد ، أخذت ولداً و أبقيت لي ستّة ، فاللهم لك الحمد .

سُبحان الله !

يتذكّر نِعَم الله في وقت المُصيبة .

مع الأسف ، نحنُ في وقتٍ لا نتذكّر نِعَمَ الله في الرَّخاء ، فكيف لنا أن نتذكّرُها في الشّدة ؟

لذا ، إليك هذا الكلام ، فركّز ..

كلٌّ منّا عندما يصل إلى ما يطمحُ له ، يشعر بالنّقص ..

يشعر أن ما توصّل إليه ، قليل بحقّهِ ، و ينسى نِعَمَ الله !

فمبدأُ الرّضا عن ما نملُك ، يكمن في نظرة الإنسان في ما يملكه هو ، و في ما يملك مَن هو أقلّ منه ؛

بل و هذا ما يؤثّر بشكل إيجابي ، عندما تشكر الله الذي أنعمَ عليك كُل هذه النعم ، و دعاؤك لمن هو أقلّ منك مالاً ، و علماً و مرتبةً ..الخ.

بل و ليس غريباً أن تصل إلى مرحلة و تتيقّن أنَّ جزء من هذه النِعَم التي أنعمها الرحمن عليك .. حقٌّ لذلك الَّذي هو أقلٌّ منك .

وَ فِي أَمْوَالِهِم حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ المَحْرُومِ . الذاريات .

الفُقَراء :

أتدرون !؟

أرى أنّه مِن الأفضل ، هو أن **يبحثُ** كُلٌّ منّا عن عائلة فقيرة ، حتّى ولو كانت مُكوّنة من شخص واحد فقط ، أن يتكفل بهم و لو بمبلغٍ بسيط .

إن كان تاجرًا ؛ فليدعوا هؤلاء إلى العمل عنده ، و إن كان صاحب مال ؛ فليُخصّص راتب شهري لهم ، و إن كان صاحب علم ؛ فليُدرِّس أبناءهم ، الخ.

فكلُّ هذه النعم من الحقِّ سُبحانهُ و تعالى ، فيجب أن نحمُدَ الله عزَّ و جل على هذه النعم ، بل و أَن نُنفِق ما رزقنا الله في سبيله لكُلِّ مُحتاج ، يجب أن نتكاتف لكي نقضي على ظاهرة الفقر المُنتشرة في المُجتمع ، نقضي على الفقر الفكري الموجود في عقولنا ، نقضي على شهواتنا ، و أن نأخذ ما يكفي للحاجة .. و ما تبقّى لهؤلاء !

قَد يتفهمن أحدهم ، و يقول : كُلنا فُقراء ، نعمل ، ونكدح ، و لا نحصل ما يُلبّي رغباتنا ، فكيف لنا أن نُلبّي مطالب الآخرين !؟

كلام جميل ، و ٧٠% مِنَ النّاس مَن يُردّد هذا الكلام . .

أوّلاً ، لنرى ما يُلبّي الرّغبة و يسدُّها ، و بعدها سنرى إن كان حقّاً سيختلف الوضع أم سيبقى مثل ما هو .

ركّز ..

هُنالك فرق بين الرغبة الموجودة ، و بين ما يرغب الإنسان فيه .

قد يتعجّب بعضهم عندما يسمع هذا القول مِمّن يملك سيّارة غالية الثّمن و منزل كبير يتسع لعائلة ثانية مثلهم ، و لا يسمع من ذلك الذي يملك درّاجة هوائية و منزل صغير ..

القصة تكمُن في مَن يأخذ من المال ما يكفيه ، و يخرج من المال ما يكفي لغيره .

و لو كُل واحدٍ منّا ، يأخذ ليومه ما يكفيه ، و أن يضع ما تبقّى من ماله في مكانٍ يحفظه (حتّى ولو كان المبلغُ بسيطاً) ، و ذلك لأمرين ..

الأول ؛ أنَّ هذا المبلغ البسيط ، سيكون جيّد نوعاً عند جمعه لمدّةِ شهر .

الثّاني ؛ أن نتذكّر ما هو أهم من الأمر الأول ، ألا و هو ؛ أنَّ المُحتاج لا ينفق أكثر من ربع ما ينفقه الشّخص العادي الطبيعي .

بمعنى أوضح ؟

هُنالك مَن يتغذّى أربعةَ أنواع مُختلفة في اليوم الواحد ، و هُنالك مَن يتغذّى نوع واحد في أربعة أيام مُتتالية .

أتعلمون !؟

تاللهِ لو أنَّ الأُمّة كُلّها تعمل بما أمرها ربُّ العِباد ، و انتهوا عمّا نهاهم الرحمن عنه ، لما رأيتم شيخاً كبيرًا قاعِدًا مُناديًا لذلك المُتكبّر بإعطائه ما لا يسدُّ جوع القِط ..

لما رأيتُم الطّفل الذي تيتّمَ، ليس هُنالك من يتكفّل به !

كأنَّهم نسوا نبيّنا و قُرَّة أعيُننا مُحمّد ﷺ و هو يقول : أنا و كافل اليتيم في الجنّة .

طفلٌ تشرّد بعد موت أبويهِ ، قرأ عنِ الإسلام و رأى أنَّ كافِل اليتيم في الجنّة ، فابتسم ، و رضيَ بما قدّرَ اللهُ له ..

ظنّاً منهُ أنَّ الأُمّة ستبحث عنه ، بل و ظنَّ أنَّ المُسلم سيبذل كُل جهده لكي يلقاه و يتكفّل به ، فرأى نفسه بعد ذلك يمشي حافي القدمين ، ذاهباً مادّاً يديه لِمن يعطيه ما لا يكفيه ، و لِمَن يذلّه و يشتم أباه .

لما رأيتُم ملامح طفلة بريئة تشوّهَ ، بعد فراق أبويها .

لما رأينا ما رأيناهُ و نراهُ اليوم .

يجب أن نتذكّر قاعدة ، ألا و هي : كُلّما أعطيت ، كُلّما تلقّيت .

و لكن جُلَّ مَن قرأ ، لم يعطِ أهميّة ..

فهل هُناك احتمالٌ بسيط ، في أن نرى من يأخذ بهذه الكتُب ، و يهتم بها ، و يعمل بها ؟

إذا كان كتاب الله في بيت كُل مُسلم ، و لا يؤخذ به !

أسيؤخذ منّا نحن ؟

سبب تخلُّفنا ، و تراجعنا ، يعود لهجرنا لكلام الله عزَّ وجل .

اسأل الله الهدايةَ لهذه الأُمّة ، الّتي هي خيرُ أُمّةٍ أُخرِجَت للنّاس .

فقر العقل :

يجب ألّا نقول دائماً : جُلَّ مَن في المجتمع مُتخلّف ، يقضي جُلَّ وقته على الموبايل ، في أي شيء تافه ، يخضع كُل منهم لشهوته ...الخ .

حتّى و إن كان الواقعُ مؤلِمًا ، و مُزعجًا نوعاً ما ..

يجب أن نبدأ بأنفُسِنا ، لأننا جزء من هذا المُجتمع ، لذا على كُل من يُردّد هذا القول عليه أن يُحاور نفسِه بنفسِه عمّا فعله و يُداوم على فعله .

يجب في البداية أن نُخصّص وقت مُحدّد للقراءة ، و إن قلّلنا استخدام الموبايل (بما فيه من استخدامات تافهة) ؛ كالتّصفح في الإنستجرام و الفيس بوك ..الخ.

ذلك سيوفّر لنا وقت كافي للقراءة .

إن أخذنا بالقراءة في البداية ، و تثقّفنا ، و قرأنا ما ينفعُنا ، و يُنمّي مهاراتُنا ؛ رويداً رويداً ، سُنلاحظ الفرق ..

سنتذكّر ما كُنّا عليهِ من قبل ، و نتمنّى ألّا نتذكّر .

و **لكن** يجب أن أُنوّه على أمر مُهم ، ألا و هو ؛ هُنالك فرق كبير بين الرّوايات الرومنسيّة و بين الكتب التي تُنمّي من أفكارِنا و أرواحِنا ..الخ.

و أنا أنصح أن يبدأ المُسلم بأعظم كتاب ، ألا و هو القُرآن .

كلامُ الله عزَّ و جل .

تاللهِ لو تدبّرنا كلام الله ، لما احتجنا لأكثر الكتب .

لذا علينا أن نأتي في البداية بكتُب لتدبّر القُرآن ، أو أن

نذهب إلى شيخ مُعيّن يُفسّر لنا كتاب الله ، و إن تدبّرنا في اليوم صفحة واحدة فقط ، ذلك سيؤثّر بشكل إيجابي كبير في أنفُسِنا . فأوّل كلمة أوحيت من الله عزَّ و جل إلى نبيّه الكريم ﷺ كانت : **اقرأ** .

اقرأ و ربُّكَ الأكْرَم الَّذي عَلَّمَ بِالقَلم علَّمَ الإنْسانَ مَا لَم يَعْلَمْ .

العلق .

لم تظل تلك الأفكار المُتدنيّة كما كانت قبل القراءة ، بل ستتغيّر ، و ليس غريباً أن نكون مُنتجين لا مُستهلكين ، كما حالُنا الآن .

فيجب أن نُطوّر من أنفُسِنا ، و أن نتعلّم أكثر و أكثر ، و يكون التركيز على أفعالِنا لا على أفعالِ غيرِنا .

النِّعْمَة و سَبَب زَوَالِهَا :

النعمة الحقيقيّة و الّتي لا تُقدّر بثمن كما ذكرها الحق سُبحانهُ و تعالى في سورة النحل :

مَن عَمِلَ صالِحاً مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَ هوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيينَّهُ حياةً طيِّبة .

حياةً طيّبة ، أي ؛ راحة البال و الطمأنينة ،.

فما فائدةُ المال الكثير ، إن كان مَن يملك هذا المال ليس مُطمَئنُّ النَّفس ، و لا يملك راحة البال ؟

فسُبحانَ مَن جعل من الأشياء المعنويّة قيمة لا تجِدُها في المادّيّات..

و سُبحان الله ، مِن صفات الذين يُداومون على الأعمال الصّالحة ؛ أن يكونَ المرءُ راضياً بما قسم الله له من مالٍ و بنين ، و صحّة ..الخ.

و أيضاً ، أن يرضى المرء و يحمد الرّحمن على ما رزقه ، و لا يتمنّى أن يكون كغيره ..

فالتّمني ؛ هو أن يتمنّى البني آدم حاجة صعب الحصول عليها ، و المثال على ذلك ؛ كالشّاعر الذي قال : ليتَ الشّباب يعودُ يوماً .

و الله سُبحانهُ و تعالى يقول في سورة النِّساء :

و لا تتمَنَّوا ما فَضَّلَ الله بهِ بَعضَكُم عَلَى بعض للرِّجالِ نَصيبٌ مِمّا اكتَسَبوا و لِلنِّساء نَصيبٌ مِمّا اكتَسَبْنَ وَسئلوا الله مِن فضلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً .

فما هو أفضل من التّمنّي ؛ هو أن نسأل الله عزَّ و جل من فضلِه .

و في ذلك قال العلّامة ابنُ عُثيمين رحِمَهُ الله :

الرزقُ رزقُ القلب ، من جعل الله غناهُ في قلبه فهذا هو المرزوق ، و كما قال الله سبحانهُ و تعالى (فَلَنُحيينَّهُ حياةً طيّبة) ما قال مالاً كثيراً ،.. يكون مسرور القلب ، مرتاح البال ، مُطمَئن النّفس و لو كان لا يأكل في اليوم و الليلة إلا مرّة واحدة ، مسرور مبتهج .. و هذه هي الحياة ، حياة طيّبة .

فما سبب زوال النِّعَم ؟

هُنالك أسباب كثيرة ، و العِلمُ عِندَ الله ..

و مِنها ؛ عدم تقديرِها ، و الإفراطُ فيها ..

دائماً و أبداً ، عدم الرضا ، و التّشاؤم المُستمر ، و عدم التقدير ..

كُل هذا يؤثّر بشكل سلبي على أنفُسِنا !

أتدرون !؟

عندما أرى مَن ليس لديه ما يأكله ؛ مُبتسم .. أخجل من نّفسي عندما أغضب على أتفه الحاجات .

يجب أن تعلم يا مَن تقرأ ، أنَّ هُنالك من لم يكُن قادراً على القراءة !

يجب أن تعلم يا مَن تقرأ ، أنَّ غيرُك يقضي كُل حياته في التّفاهات و في غفلة عَن أكبر الحقائق !

يجب أن تعلم يا أيُّها المُسلم ، أنَّ هُنالك مَن غَفل عن الحقيقة التي أنتَ عليها !

هُنالك من يتمنّى أن يرجع إلى الحياة لكي يؤمِن بما تؤمِن به !

يا مَن تَخشَع في صلاتِك ، و تطمئنُّ نَفسُك في سجودِك لربِّ العِباد ، هُنالك مَن يُفكّر في الانتحار لخلو حياتِهِ من المعنى !

هُنالك مَن لا يعلم مِن الأساس ما هي راحةُ البال !

يا مَن تفقه عن دينِك ، هُنالك مَن يسخرُ مِن أمثالِك !

و قال الله سُبحانهُ و تعالى عن هذا في سورةِ المؤمِنون :

إنَّهُ كان فريقٌ مِن عبادي يقولونَ ربَّنا آمنّا فاغفِر لنا و ارحمنا و أنْتَ خيرُ الرَّاحمين فاتَّخَذتمُوهُم سِخريَّاً حتَّى أنْسَوكُم ذِكري و كُنتُم مِنهُم تضحكون .

فما النَّتيجة ؟

إنّي جزيتُهُمُ اليومَ بِما صَبَروا أنَّهُم هُمُ الفائِزون .

فقولِهِ تعالى (بِما صَبَروا) ؛ دليل على أنَّ الصَّبر على الاستهزاء و الفِتَن بشكل عام ؛ مِن صفات المؤمنين .

لذا ؛ فاصْبِر .

الخُرافةُ بِعينِها :

المُلحد يرى من يتَّبع الأديان مؤمنًا بالخُرافات ..والخ .

و المُلحد العربي دائماً ما نراه يطعن في الإسلام ، تركَ كُلَّ الأديان و أتى ليتكلّم و يسخر من الإسلام !؟

أتُريدون الصّراحة !؟

المُلحد العربي .. إلحادهُ مُزعج !

_ كيف ؟

ماذا عن شعورك عندما تُحاور شخص جاهل في مسألة علميّة ؟

_ ***

و لكن شعوري أ*** في الحوارِ مع مُلحدٍ عربي !

القصة لا تكمن في الحوار ، القصة تكمن في شخصيّة الملحد العربي ، التي بُنيت على إعراضِ الحق !

فالمُناقِش في المسائل الدينيّة ، إمّا أن يكونَ باحثًا عنِ الحقّ ، و إمّا أن يكونَ جاحدًا للحقِّ و لو لم تكن لديه حجّة ، و ذلك لأمور كثيرة ، و منها ؛ التّكبُّر ، اتّباعُ الهوى ، عبادةُ الشّهوة ..إلخ.

و في هذا ، كما قال اللهُ سبحانهُ و تعالى في سورةِ ص :

و لا تتّبع الهوى فيُضلّك عن سبيلِ الله .

و تذكّر دائمًا ، قوله تعالى في سورةِ يوسف : ومَا أكثرُ النّاسِ ولو حرصتَ بمؤمنين .

و أيضًا قوله تعالى في سورة المؤمنون : وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ .

فيجب في البدايةِ أن يتسلّحَ المسلم بتدبّر كلامِ الله ، لكي يُعرِض عن الجاهل ، و يُناقش الباحث ، و لا يُجادل مَن تشبّث برأيه .

فعندما تُحاوِر إنسانًا عابدًا لشهواته في الفرقِ بين الخالقِ و المخلوق ، و أنَّ الذي خلقنا هو مَن أمرنا بذلك ، فيجب أن نسمعَ و نطيع !

فإذا أعرضَ عن الحقِّ ، تذكر قوله تعالى في سورة البقرة : ليسَ عليكَ هُداهم و لكنَّ الله يهدي من يشاء .

فعليك بالدُّعاء له ، و بالإعراضِ عنه ، كما قال اللهُ سبحانهُ و تعالى في سورةِ الأعراف : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ .

فالذي يدعم العلاقات الجنسية المُحرّمة التي تُقام في سنِّ (المراهقة) كما يدّعون ، و ضد ما حلّلهُ الله و شرّعهُ لمَن بلغَ بلوغًا عقليًّا و جسديًّا و نفسيًّا ؛ عليكَ بالإعراضِ عنه ، لأنّه رأى الحق و أعرض عنه ، فلمَ الجدال العقيم إذًا ؟

و إن أتيت بردود حاسمة تنهي ما يأتي به مِن شبُهات ؛ سيظلُّ على ما هو عليه ، و لم يُغيّر ذلك من تفكيره أبدًا .

لذا ؛ استحالة الفوز منطقيّاً في الحوار مع مَن يتّبع شهواته .

أتعلمونَ ما الغريبُ في الأمر ؟

أن تأتي تلك التي تطعن في الدّين ، و هي تؤمن بالأبراج ، و بقراءة الفناجين !

أن يأتي ذلك الَّذي يعبد البقرة ، و يطعن في دين الخالق !

فعندما تقرأ قوله تعالى في سورة النّحل :

أفَبِالباطِلِ يؤمِنونَ و بِنعمَتِ اللهِ هُم يَكفرون .

سيتبيّن لك أنَّ هذا الأمر ليس بجديد ، بل كان و ما زال موجود ، و سيظلُّ موجوداً .

لذا ، علينا بالصّبر .

كما قال الله عزَّ و جل في سورة ق :

فاصبِر على ما يقولون .

و المسألةُ من وجهة نظري ، هي مسألة عقلانيّة و شهوانيّة !

_ كيف !؟

ألم نرَ أنَّ جُلَّ النّاس يتّبعون شهواتهم !؟

فالحقيقة عندما تُخالف طبيعة الشّهوة ، ستُكره هذه الحقيقة .

كما قال الله سبحانهُ و تعالى في سورة الزخرف :

لَقد جِئناكُم بالحق وَ لَكِنَّ أكثَرَكُم للحقِّ كارِهون .

و إن تكلَّمنا عنهم ، و عن شُبُهاتِهم ، فلم يكفِ هذا الكتاب !

لذا ، علينا أن نُركّز على أمور مُهمّة ، ألا و هي :

١* ألّا نُضيّع جُلَّ وقتِنا في التّفكير في ما يتكلّمون به ، فنحن على يقين أنَّ الدّين حق ، و أنَّ القُرآن كلام الله عزّ و جل ، لذا التّعمُق في مثل هذه الأمور قد يزرع الشك في قلوبِنا ..

ونحن عندما نكون على يقين بأنَّ من خلقنا و لم نكن شيء ، أمرنا بأمور ؛ سنفعل ما أمرنا به عزَّ و جل ، و نهانا عن أمور ؛ سننتهي عمّا نهاه الرّحمن عنا ، لأنَّ ذلك حتماً خيرٌ لنا .

٢* أن نرتقي بتفكيرِنا ، و أن نُفكّر في ما ينفعنا ، و ألّا نشغل هذا التّفكير في مَن لا يفقه في شيء .

فقد قال الله سبحانهُ و تعالى في سورة البقرة :

إنَّ الَّذينَ كَفَروا سَواءٌ عَليهِم أأنذَرتَهُم أم لَم تُنذِرهُم لا يؤمِنون .

لذا علينا أن نُذكّر و نُبلّغ ، و لا نُلح كثيراً ، و ما على الرّسولِ إلّا البلاغ .

٣* ألّا نخوض في الأحاديث معهُم كثيراً ، فهذا يأخذ من وقتِنا و في الآخر لم ينتهِ الحديث إلّا بما اقتنعوا به من قبل ، فهُم بعرضِهِم لهذه الأحاديث عليك لم يكُن إلّا لتقتنع بأفكارِهم و أقوالِهم .

و حصلَت معي عِدّةَ مواقِف كهذه ، و أذكرُ أنَّه قد استُهزِأ بي من قِبَل عِدّة أشخاص في نفسِ الوقت ، و كُلَّما أُبيّن لهم ما جَهِلوا عنه و لم يتبيّن لهم ، أخذوا كلامي على محمل السُّخرية .

فلو كان شخصٌ واحداً منهم من يتكلّم ، لكان انتفعَ قليلاً ، فقد تؤثّر بكلامِكَ في شخص واحد منهم ، و يأتي أحدهم يسخر من كلامِك ، أو يأتي بمُغالطة رجل القش ؛ فيزيل الانتفاع الصغير الذي صنعته بكلامك داخل ذلك الشخص .

و صدّقني ، الموضوع أعقد ممّا تتخيّل !

_ لماذا !؟

لأنّك ستتلقّى منهم بعض الكلام الذي سيؤثّر في نفسيّتك ، فلم تكُن قادراً على أن تُبرهِن لهم صحّة ما أنت عليه بعد الاستهزاء و السُّخرية ...الخ.

لذا ؛ بلّغ ، و إن لم يقتنع مَن بلّغته ، أغلق الموضوع الذي فتحته ، و لا تهتم .

الارتباط بين الشّاب و الفتاة تحت مُسمّى الحُب :

ظاهرة مُنتشرة في المُجتمع ، و تكادُ أن تكون علناً بموافقةِ الوالدين !

كما الحال في العصر الجاهلي ،، أقصد في بلادِ الغرب .

لنتّفق على أمرٍ مُهم ، و لنكن أكثرَ صراحةً في هذه المواضيع ، لنتّفق جميعاً على أن الارتباط بين الشّاب و الفتاة بشكل غير شرعيّ ؛ ما هي إلّا خضوعاً لشهوةِ النّفس !

القصّة كالتّالي :

يأتي الشّاب و يتعرّف على فتاة ، إما عن طريق الانترنت ، أو في مكان عمل ، أو دراسة ..الخ .

و قيل أنّه في هذا الزّمان ، أنَّ الفتاة هي التي تتعرّف على الشّاب و هي الّتي تُفكّر كيف تبدأ بحديثٍ شيّق لكي تتعرّف عليه .

و بعد هذه المرحلة (مرحلة الرسميّات) تأتي مرحلة الصداقة .

و هُنا يكثُر الكلام فيما بينهم ، ترى الأخ مُندمج في المُحادثة ، و إن كلّمته لم يسمع ، و إن ضربته لم يتوجّع ، و إذا ذهبت يحسبك معه .

تراه مُبتسم و هو يُكلّمها ، و إن رأى نفسه في هذه الحالة لتمنّى ألّا يُحدّثها مرّة أُخرى .

فالقصّةُ تكمُن في ما يدعمهُ المرءُ شهواته من داخله ، و في ما يظهر عليه من الخارج .

فهُنا تأتي مرحلة التعوّد ، فيتعوّد الشّاب على التكلُّم معها ، و هي كذلك ..

و من هذه المرحلة ، إلى مرحلة (شهوة الحُب) !

يأتي الشّاب ، و يعترف بِحُبّه للفتاة .. و هي تقبل .

و تبدأ هذه العلاقة الّتي تكاد أن تسرق جُلَّ وقتِهِما في شيء لا ينفعَهُما ، بل يضرُّهما أيضاً !

_ لماذا !؟

لأنَّ هُنالك مرحلة من هذه المراحل ، تُسمّى (مرحلة الملل)

تتخبّط هذه المرحلة بمرحلةِ التعوّد و التعلُّق ، حتّى أن يصل الحال بِهما إلى الهلاك النّفسي .

أخي ، أختي .. إليكُم هذا الكلام مِن أخ صغير أو كبير ، ليس مُهِمَّاً ، المُهم هو أن تأخذوا بهذا الكلام .

ما لا يرضي ربّ العِباد ، لا تأتي النتيجة بما ترضي العبد .

قد يقول أحدكم : إنَّما هي المشاعر ، فكيف لنا أن نتحكَّم بها !؟

الحب ليس بأيدينا ... مشاعر جيّاشة تنشأ من الدّاخل الخ.

المشاعر التي تكنُّ في داخلنا لم نكن قادرين على التّحكم بها ، و لكنَّ التّواصل هو عمل إرادي ، و المرء حُر (أن يفعل ، أو لا يفعل)

و يتضح لنا أنَّ التّواصل في هذا الحال يُشوّه الحُب الحقيقي الذي يكنُّ في داخلنا ، لأن و بكل بساطة ، عندما يأتي من يُعرّف التّواصل بشكل عام ، سيقول : إنما هي رغبة بين شخصين أو أكثر ..الخ .

فالتّواصل رغبة ، و الرّغبة بشكل عام إمّا أن تكون صالحة ، تنفع ، أو تكون فاسدة ؛ تأخُذ بصاحبها إلى التّهلُكة .

و التّواصل بين شاب و فتاة تحت مُسمّى الحُب بشكل غير مشروع ، رغبة فاسدة ، لا تصلح ، بل و تؤدي إلى الهلاك !

تخيّل !

أحببتَ فتاة ، و بدأت ترسم مُخططات أنَّك ستحصل عليها ، و علّقت قلب تلك الفتاة التي تُحبّها بك ، و جعلتها تُشاركك برسمك لهذه المُخطّطات ، و أنت لا تعلم متى ستأتي تلك الساعة و تفترقوا !

و أتى ذلك اليوم ؛ و حصل معكم ما حصل مع الغالبيّة ..

أوهل ذلك اليوم سيكون هيّناً عليك و عليها ؟

أوهل ستتعلّم مِن ذلك اليوم !؟ لا أظن ، لأنَّ الّذي علّق نفسه و عوّدها هكذا ، ستحتاج إلى جُرعات حتّى و لو كانت مع شخص مُختلف .

أتعلمونَ أين تكمُن المُشكلة !؟

في الأغاني و المسلسلات و الأفلام ...والخ.

فأول ما يُحرّك شهوة الإنسان ، و يدفعه إلى هذه العلاقات هي الأغاني !

..

إن كُنتَ تُحبُّها و لم تخضع لما تشته نفسك ، فاصبِر و اشتغل على نفسِك لتحصل عليها ، لا لترضي تلك النّوازع و أنت لا تعلم إلى متى ستبقى معها !

صدّقني ، إن أحببت فتاة ، و كتَمت على ما تشته نفسك في التكلّم معها ، و اشتغلت على نفسِك ، و دعوت في سجودِك لربِّ العِباد أن يجعلها من نصيبك ، فإن كانت خيراً لكَ ، ستكون من نصيبِك بإذن الله .

فعندما نعمل بما يُرضي الله ، لم يُقدّر لنا إلّا ما هو خيرٌ لنا .

...

و تذكّري جيّداً ، مَن يُحِبُّكِ سيطرِق باب بيتك و يتكلّم مع أبيكِ ، أو سيصبر و يعمل جاهداً للحصول **عليكِ** لا على **منصّة** لكي يُفضفض لكِ عمّا في داخله .

المُجْتَمَع :

في مُجتَمَعِنا الجميل ، يكثُر فيهِ مَن يجهل عن ما هو عليه ، و يكثُر فيه مَن يعلم عن غيرِهِ ، يكثُر فيهِ مَن يأخذ بنفسِهِ إلى التَّهلُكة ، و يقِلُّ فيهِ مَن يرفُض جُلَّ العادات الَّتي تُقام فيه .

يكثُر فيهِ مَن يفقهُ في التَّفاهةِ ، و يكثُر فيهِ مَن يكونُ أجهلُ مِن أبعَدِ النّاسِ عنِ العِلمِ .

قلَّ مَن يرى أنَّ الكثرة لا تدِلُّ على الصّواب ، و جُلَّ مَن يرى الخطأ صواباً ؛ عند انتشارِهِ بين النَّاس .

جُلَّ مَن فيهِ يقول : أوَلَم نتعلّم مِنَ الغربِ ، انظُر إلى أين وصلَ الأوروبيّ بِعلمِه ، و انظُر إلى أين وصلَ العربيّ بجهلِه . .

و جُلَّ مَن يقولُ هذا الكلام ، قد يكونُ أجهل من ذلكَ العربيّ الذي أتى بِسيرتِهِ .

لا نَدري ، أوَهَل التطوّر التّقني الَّذي اخترَعَهُ الغرب أثّر في نفوسِنا ، أم نحنُ أخطأنا في استخدامِنا لِهذهِ التَّقنيّات ؟

أهُنالِكَ أشياءٌ سلبيّة حقّاً ، أم نحنُ ننظُر إليها بسلبيّة ؟

أوليسَ مَن يدعوا إلى العلمِ ، نفسهُ الَّذي يجهلُ عَن أكبرِ الحقائق ؟

لا نَقدِر على إصلاحِ مَن حَولِنا ، و لَكِنَّنا نقدِر على إصلاح أنفُسِنا ، فلنبدأ بأنفُسِنا ، ثُمَّ نتكلَّم عمّن حولِنا ..

و اعلموا جيّداً ؛ عندما نُغيّر من تفكيرِنا ، و نصبح أفضل من قبل ، ذلك سيؤثر بشكل إيجابي على مَن حولِنا ، فالمرءُ يُعرف بصاحبه ، و صاحِبهُ يُعرف بأصحابه . . و هكذا .

و الَّذي أتى بالشّهوانيّة ، و زيّنها في أنفُسِنا ، و قرّبنا منها ، و جعلنا أن نخضع لكل هذا ...الخ .

تمكن من أن يُغيّر أكثر النّاس ، و الاستمرار على هذا قد يأخُذ بِنا إلى التّهلُكة !

لذا ، ابدأ من نفسِك ، لكي تؤثّر بِغيرِك .

ليس هُنالك ما يُسمّى (كُنّا ، و لكن تغيّرنا بسبب الظروف) .

إذا كانَت الظروف قادرة على أن تُغيّر ، فحاول أن تُغيّر الظروف !

_ ؟؟؟؟؟

اجتهد ، ابحث ، اقرأ ، تعلّم ، صاحِب مَن هُم أعلم مِنك ، تثقّف ، افعل شيء يجعل مِنك تخرُج من جمودِ عقلك ، يجعلك تستيقظ من غفلتك !

ليس من الصّواب أن نجعل **الظروف** سبباً للأحداث ، إذا كانت النّفس تشتهي كُل هذا مِن قبل !

ليس من الصّواب أن نقنع أنفُسنا بأنَّ ما نفعله ليس بخطأ !

لا ، يجب أن نتذكّر أنَّ الخطأ يبقى خطأ ، مهما حصل !

إن عَمِلَ مَن هو قريبٌ منّي عَمَلٌ خاطئ ، يجب أن أُذكّره ، أنصحه ، أدعوا له بالهداية ...

يجب ألّا أغض على فعل القريب ، لكي لا يصل هذا الفعل إلى الغريب .

و الّذي نفسي بيده ، لو نتقرّب من كتاب الله ، و نُطبّق ما فيه ، لما كان الحال كما الآن .

. . .

المقصد الثّاني : الدين .

قال أحدهُم : لقد كنتُ بعيداً عن الدين ، بعيداً عن ما يتعلّق بالأديان ، ظنّاً منّي أنَّ الأديان هي من اختراع البشر لتطبيق قوانين الأخلاق ، و زرع أفكار خُرافيّة في أذهان البشر ...الخ .

كُلَّما أُفكّر بعمل ، أشتهي شيء ... يأتي أحدهم و يزعجني بأقواله : حرام ، لا يجوز ، إنها كبيرة ...الخ .

راودتني فكرة الإلحاد ، بحثت في الموضوع ، و آمنتُ بفكرة الإلحاد.

قرأتُ جُلَّ كتُب الفلاسفة المُلحدين ، آمنتُ بفكرة عدم وجود إله ، و لكن كُلّما يُذكر اسمُ الله أشعر بشعور غريب ، يشبه شعور الخوف !

لا أدري لماذا ..

فلم أهتم للأمر ، و كلّما بحثت في الألحاد أكثر ، كلّما خضعتُ لما تشتهي نفسي أكثر ، فكنتُ كمن يتكلّم عن العلم و الثقافة و بنفس الوقت غارق في عبوديّة الشّهوات .

و كنتُ مِمّن يكره الأديان ، و أسخر منهم و من عباداتهم للعدم ، حتّى أن أتى يوم و حدث ثُمَّة حوارٍ مع شاب مُسلِم ، فقلت له : ما هذا الدين الذي يجعلكم تغضّون من أبصارِكم ؟

فردَّ عليّ قائلاً : لأنّها أوّل نقطة للفساد في المجتمع ، يتحوّل الأمر من نظرة إلى تعارف ، إلى علاقة حب ، إلى علاقة جنسيّة ، و تنتهي بقتل الجنين ، كما الحال اليوم في بلاد العُلماء الذي تعبدهم أنت .

!!!

انصدمت من ردّه ، لم أعد أعلم كيف أرد ، أو ماذا أرد من الأساس ...

فقلت له : ما المانع من هذه العلاقات !؟

و الجنين الذي ذكرته أنت ، لم يرَ الحياة ، فليمت !

فقال : جميل !

ما المانع من انتشار الأمراض ؟

ما المانع أن يعيش المرء حياة ليس لها معنى ؟

جنين ؟؟

هه ، فليمت !

ما معنى (إنسان) في الإلحاد من الأساس !؟

فقلتُ له : نحن نهتم في التطوّر و العلم ، و الأخلاق كما تعلم شيء نسبي ..

و الحقائق أيضاً نسبيّة !

لم نهتم بما تهتم أنت ، و لو نهتم بما تهتم به ، لكُنّا أكثر النّاسِ تخلُّفاً !

فقال : أوهل أنتم لستم مُتخلّفين ؟

كيف لِعاقلٍ يؤمن بشيء يصنعهُ الإنسان ، و لا يؤمِن بمَن خلق هذا الإنسان ؟

فقلتُ له : لنعود إلى موضوعِنا ، كيف لِعاقلٍ أن يؤمن بدين يفرض عليه غضّ البصر ، و السّارق يُقطع يده ، و الزّاني يُجلد ..الخ ؟

فقال لي : أوّلاً ؛ غضُّ البصر ..

يقول سارتر في كتابه الوجود و العدم : نقطة البداية في الاتصال بين الذوات إنما هي "النّظر".

لو أُبسّط لك الموضوع بشكل منطقي لأخرجتَ مائة حجّة ضد ذلك ، لذا ؛ هذا ما قاله فيلسوفك الذي تؤمن به و بكلامه ..

ثانياً : عندما يكون القانون في البلاد التي أنت عايش فيها ضد رغبتك ، فهذا لا يُغيّر القانون ، فكلامُك لا يُقدّم ، و لا يؤخّر !

فهذا كلام الله ، و منهجه ، فعندما تؤمن بالّذي خلقك و لم تكُ شيئاً ، ستؤمِن بأحكامه ، لأن الَّذي خلقك و خلق كل شيء أعلم مِنكَ في هذه الأمور !

و لَكن ، إن كُنتَ سارقاً و ذهبتَ إلى دولة تُطبّق شرع الله ، أوَهل ستكون لديك الجرأة بأن تسرُق ؟

ثالثاً : عندما نؤمن أنَّ هذا كتاب الله ، أنَّ هذا كلام الله الذي خلقنا ، فنأخُذ بالأحكام لأن الله عزَّ و جلّ قاله ، و ليس لشيء آخر .

و لكن الَّذي مثلك لا يؤمن بهذا ، يؤمن بالصدفة العمياء ، الّتي هي الخُرافة بعينِها مهما تزيّنت عند بعض العُلماء ..

لذا القضيّة قضيّة إيمان ، يجب في البداية أن تؤمن بالخالق العليم الحكيم ، خلقك و خلق الأرض التي تمشي فيها و خلق الأسباب التي تأخُذ بها ، و خلق كُلَّ شيء ..

هذا سيجعلك تأخذ بالأحكام دون أن تسأل حتّى !

على سبيل المثال ؛ ذهبت إلى طبيب و قال لك يجب أن تأخذ هذا الدّواء ، فهل ستعترض على ما قاله الطبيب ؟

و لله المثلُ الأعلى .

عِلاوة على ذلك ، أخذ الدكتور جيرمان بيليبينكو (german pilipenko)

الجَلد علاجاً لِمُدمني الجنس و الخمر ، و هذا كما نشرت صحيفة ديلي ميل البريطانيّة .

طال الحديثُ فيما بيننا . .

و بقيتُ أُفكّر في بعضِ ما قالهُ لي . .

كان يقول : عندما أرى مَن خَسر ماله ، أولاده ، صحّته ..

يرضى بما قُدّر له ، و يحمد الله على ذلك ؛ أقول في نفسي : الحمدُ لله على نِعمة الإسلام .

و آخر ما قاله كان : إن الله سبحانهُ و تعالى يقول في سورة الذاريات : و في الأرضِ آياتٌ لِلموقِنين و في أنفُسِكُم أفَلا تُبصِرون .

اسأل الله أن يهديك .

.....

بحثتُ في الإسلام ..

بقيتُ أبحث في الإسلام و عن باقي الأديان لمدّة سنة كاملة . .

اتضح لي أنَّ الدّين الذي يجب أن يعتنقه كُلٌّ منّا ، هو الإسلام !

اتضح لي كم كنتُ غافلاً عن أشدّ الحقائق ..

كنتُ مُلحداً ، ضد الأديان بشكل عام ، و ضد الإسلام بشكل خاص ، و أصبحت أشدّ إيماناً بدينِ الله الحق ، لم يعد يهمُّني أيّ شيء سوى رضا الله ، و النّجاة في الآخرة . .

و نصيحة . .

افعل ما أمرك الله به ، حتّى و لو لم يفعله غيرك ، و اجتنب ما نهاهُ الله ، حتّى و لو لم يجتنب أحد غيرك .

و تذكّر جيّداً ، أن الإلحاد بشكل عام هو :

أن يأتي أحدهم لكي ينفي حقائق مكشوفة و معروفة لا داعي للنقاش فيها ، و يُخبّط عقول النّاس بربطه ما بين العلم و الخُرافة ، ثُم يأتي و يتكلّم عن المنطق ، و المغالطات المنطقيّة ... الخ .

كالأصم الذي يحاول أن يقنعك أنّهُ يسمع ، و من ثم يأتي لينتقد المُتكلّم على أنّهُ أبكم .

أوَهل يتكلَّم الأصم ؛ حتّى ينتقد ؟

و تذكّر يا مَن تكونُ بعينِ الجاهِلِ مُتخلّفاً ؛ ليس المهم كلام البشر ، إنَّما المُهم هو رِضا ربّ البَشَر .

.

أوَ كُلَّما اشتهيتَ اشتريت ؟

نُقِل هذا الكلام عن سيدنا عُمر بن الخطاب رضيَ اللهُ تعالى عنهُ .

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: رأى عمر بن الخطاب لحمًا معلقًا في يديّ فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت اشتهيت لحمًا فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتهيت اشتريت يا جابر، أما تخاف هذه الآية (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) سورة الأحقاف آية (20).

و المَقصَد من هذا الكلام ، أنّه ليس من الصّواب أن يشتري الإنسان كُلَّما اشتهى ، و ليس المقصود أن يُحرّم الإنسان على نفسه ما أباحه الله له . .

فإذا كُلّما اشتهى المرء شيئاً اشتراه ، لرأيته خاضعاً لشهوته ، بل و هذا سيؤثّر عليه بشكل سلبي .

و في الوقت الحالي هذا الشّيء مُنتشر !

فما الذي نتج عن هذا ؟

١* انتشار الفُقراء ؛

و هذا عندما تكون في مُجتمع ، يكثر فيه مَن يخضع لشهوته ، و كُلَّما يشتهي يشتري ، و كُلّما أُعجِبَ بشيء و كان لديه المال اشتراه ، بل و منهم إذا رأوا حاجة تعجبهم ، و لم يكن لديهم المال الكافي ، يأخذونها بالدَّين ..

و هكذا ينتشر الفقر في المجتمع ، فقر عقلي ، فقر مالي ، فقر إيماني ... الخ .

٢* تفكُّك الأُسرة ؛

عندما تُعوّد الأُسرة على شيء مُعيّن ، و كما تعلم ؛ كُلّما تتعوّد على أن تستهلك ، كُلّما ستشعر بالنقص ، فستستهلك أكثر من ذلك ..

لذا تعويد الأُسرة على الاستهلاك بشكل مُستمر ، سيؤثّر ذلك بشكل سلبي على العائلة بأكملها !

قد يسأل سائل ، و يقول : لماذا !؟

لأنّه إذا تغيّر حاله ، و لم تبقَ لديهِ تِلك القدرة الماليّة ، سيصعب على الجّميع تحمُّل ذلك !

لذا دائماً و أبداً ، و كما ذكرنا سابقاً ؛ خُذ مِن مالِك ما يكفيك ، و ما تبقّى تصدّق به .

و في هذا ستشكُر الله على ما أعطاك ، و ستعلم أنَّ من هذه النِّعَم حقٌّ لمَن ليس لديه ربع ما لديك !

٣* انتِشارُ الجهل ؛

عندما تكون في مُجتمع ، يكثر فيه مَن يتّبع شهواته ، و يسعى دائماً إلى الاستهلاك ؛ قَلّما ترى فيه مَن يسلك طريق العلم ، لأنَّ العلم النّافع يحتاج إلى عقل ناضج مُغذّي بكتب مُفيدة ، بأفكار إيجابيّة ، بِحُبِّ القِراءة . . .

فأيُّ عالمٍ هذا الّذي كُلّما اشتهى شيئاً اشتراه ؟

فصدَقَ أميرُ المؤمنين عندما قال : أوَ كُلّما اشتهيتَ اشتريت ؟

العِبادة / العَادة :

خيرُ العبد ، هو الّذي يعبد الله عزَّ وجل على أكمل وجه ، يعبد الله و كأنّه يراه ، قد لا ترى من ظاهره شيء ، لأنّه قد يكون له أعمال سريّة لا يريد أن يعلمها سوى الله عزّ و جل .

يعمل على النوافل لكي يتقرّب من الله جل و علا ، يقرأ قصص الأنبياء و الصّالحين ، لكي يفعل ما كانوا يفعلونه ، و يتعلّم مِمّا جار عليهم . .

يسأل نفسه في كل ما فعله ، فإن كان صواباً لكي يُداوم عليه ، و إن كان عكس ذلك لكي يكف عن ذلك الفعل .

و إن سُئل عن هدفه ، لقال : أن أصل إلى ذلك المكان ؛ المكان الذي يكون فيهِ ما أشاء ، ما لا عينٌ رأت و لا أذنٌ سَمِعت .

كما قال سبحانهُ و تعالى في سورة ق :

لهُم مّا يَشَاءونَ فيها وَ لَدينَا مَزيد .

في هذا الوقت ؟

أصبحَ يأخذ بعضُنا العِبادةُ **عادة** يعمل بها إن شاء و يتركها إن شاء ، و يأخذ العادة **عِبادة** يُداوم عليها بشكل مُستمر ، بل و يشعر بالنّقص إذا نام من دون العمل عليها !

و لا نستغرب إلّا من ذلك الذي قَلّما تراه يُصلّي ، و كثيراً ما تراه يلهو في حياته ، و في الآخر تراهُ يقول لك : ألّا أُصلّي و لا أفعل ما فرض الله ، و أن أعمل الخيرات و أُقدّم يد العون إلى النّاس خيرٌ من صلاة مُسلم قد تراه نمّام ، و لا يُساعد الغير .. إلى آخره .

و لا نستغرب مِن هذا ، إلّا عن جهله في دين الله ، و كأنّه لا يعلم أنَّ أوّل ما يُسأل عنهُ العبد ، هو صلاته !

نحن على علم ، أنَّ الفعل الغلط لا يجوز . .

و لكن أيضاً على علم أنَّ الصلاة فرض ، فرضه الله علينا .

. . .

فما بالُنا و نحنُ نغضُّ عن ما هو يُقرّبنا من الله جل جلاله !؟

ما بال تِلكَ الفتاة المُسلمة التي إذا رأت مُمثّلة بلباسٍ فاحش ، تقول : أردت أن ألبس مثل ما تلبس هذه ، و لكن المُجتمع مُتخلّف !

ما بال ذلك الشّاب المُسلم الّذي أصبح لا يغضُّ من بصره ، بل و يُبرّر لك ما يفعله !؟

قد لا يزعجني إلّا ذلك الّذي إذا رأى امرأة مُلتزِمة و مُستقيمة و لباسُها لا يثير شهوته الحيوانيّة ، و يقول : من هذه !؟

أأتت من عصر الجاهليّة أم ماذا !؟

عصر الجاهلية ؟

أولم يعلم أنَّ تبرُّج المرأة ، و تزيّنها أمام الرجال الأجانب ، كانت عادة يفعلونها في عصر الجاهلية !؟

ألم يعلم هذا المُثقّف أنَّ الإسلام أتى و نهى عن هذه العادة !؟

يعلم !

و الّذي نفسي بيده أنَّ كثيراً منهم يعلمون ، و لكن ما لا يريدونه ، هو منهج الله ، المنهج الّذي لا يُوافق الشّهوة الحمقاء .

ما لا يراهُ العين ، ليس دليلاً على عدم وجوده :

يجب أن نأخذ هذا كقانون في حياتِنا ، فليسَ مِنَ الصّواب ألّا نثق إلّا بما تراه العين !

بل و إن كان هُنالك حائط يفصل بيني و بين أحدهم ، ليس لدي الحق أن أحكم أنّهُ ليس هُنالك أحدٌ وراء الحائط ، و أستدلُّ على ذلك بعدم رؤيتي !

إن أخذنا الأمور بما تراه أعيُنِنا ، فما حال ذلك الأعمى الّذي ليس لديه القدرة على الرؤية !؟

و لكن قد يسأل سائل ، و يقول : ما علاقة كُل هذا بالفصل الّذي نحن فيه ، ألا و هو الدِّين ؟

سؤال جميل .

يجب أن نتذكّر أنَّ هدف هذا الكتاب ، هو ارتقاء الفكر ، و تغيير بعض الأفكار التي لا طالما رسخت في أذهانِنا ، و كُنّا على اعتقاد أنّها أفكار صحيحة . . **أولاً** .

ثانياً ، علاقة هذا القانون بما في هذا الفصل ، ليكُن العدل (على سبيل المثال)

_ كيف ؟

إن كان العالم بأسره يمشي على قانون : لا نؤمِن إلّا بما يراهُ العين .

لما كان هُنالك شيءٌ اسمهُ (**العدل**) .

و لرأينا العالم قائم على تناقضات ، بل و لرأينا الإلحاد مُنتشر أكثر مِمّا عليه العالم الآن .

و الكثير مِنَ الإشكاليات . .

لذا العدل بين النّاس ليس قائماً على رؤية القاضي بما يراه بعينه .

لأنَّ العين قد تخدع ، و الطّرق المؤدّيّة إلى الحقيقة لا تقتصر على ما يراه القاضي بعينه فقط !

قد يغفل عن كثير و كثير ..

و الله سبحانهُ و تعالى يقول في كتابه الكريم في سورة النّساء :

و إذا حكمتُم بين النّاس أن تحكُمُوا بِالعدلِ .

أي إذا كان منّا مَن كُلّف بأن يحكم بين النّاس ، فيجب أن يحكُم بالعدل .

لذا يجب ألّا نأخذ رؤيتنا للشّيء ، دليل عليه ، و عدم رؤيتنا له ، دليل على عدم وجوده !

هذا و إن كان مُنتشراً في الغرب ، فهو قانون قاصر و **غبي** !

نعم ، قانون غبي .

مع العلم ، أنَّ تطوّر العلم يُؤكّد على قانون : (**ما لا يراهُ العين ، ليس دليلاً على عدم وجوده**) .

_ كيف ؟

على سبيل المثال ؛ الجراثيم الّتي لا تُرى بالعين المُجردة ، و لا تُرى إلّا تحت المِجهر . .

إليكم سؤالين !

أولاً : أين اتلك الأعيُن القادرةض على رؤية كل شيء ، بل و لا يؤمن من يمتلك تلك النعمة ، إلّا إذا رأى بأُمِّ عينه ؟

ثانياً : أوهل عدم معرفتنا بالجراثيم و إلى آخره من المخلوقات التي لا تُرى بالعين ، دليل على عدم وجودها ، أم دليل على أنَّ هُنالك ما يدركه العين ، و هُنالك ما توصّل إليه العلم ، و هُنالك ما لم يتوصّل إليه العلم !؟

أليس هذا دليل على تناقض قانون : لا نؤمِن إلّا بما يراهُ العين ؟

هُنالِك ما يُسمّى بِعلمِ اليقين ، أي وجود شيء دليل على وجود شيء آخر ، أو وجود شيء دليل على وجود من أوجده .. و هكذا .

على سبيل المثال : قد ترى رسمة فرعونية قديمة على الحائط ، فالرّسمة تدلُّ على أنَّ هُنالك مَن رسمها !

مع العلم أنَّك لا تعلم من رسمها ، و لم ترَ الرّسّام و هو يرسم ، و لكن أيقنت بوجود رسّام رسم هذه الرّسمة على الحائط .

و عدم تقبّل هذا ، و الاعتراض على هذا ، فقط لأنَّك لم ترَ بعينك من رسمها ، فهذا تناقض لا يمكن أن يقبله عقلٌ بشري !

و الكثير من الأمثلة ، التي من خلالها تُبيّن لنا أنَّ ما لا نراه ، ليس دليلاً على عدم وجوده .

بل و الله سبحانه و تعالى عندما يقول : وَ فِي الأرضِ آياتٌ للموقنين .

أي آيات تدل على وجوده و عظمته و علمه و حكمته . .

و لكن لمَن ؟

للموقنين .

و أيضاً يقول الله جل جلاله في سورة التّكاثُر :

كلّا لَو تَعلَمونَ عِلمَ اليقين .

و علمُ اليقين هو العلم الذي نتوصّل به إلى الحقائق أكثر من رؤية العين أيضاً !

بل عندما يتيقّن أحدنا بأمر ، لا يصيب الشّك في قلبه ، بل هو على يقين تام بذلك الأمر .

و عرَّفَ الجرجانيّ اليقين : أنَّ اليقين هو طُمأنينةُ القَلْب على معرفة الشّيء و تحقيق التصديق بالغيب ، بإزالة كُلِّ شكٍّ و رَيب .

و مِن هذا قولِه سبحانهُ و تعالى في سورة الحِجْر :

و اعبُد ربَّكَ حتَّى يأتِيَكَ اليَقين .

و هذا ، إذا أخذ المُلحدون قانون : **ما لا يراهُ العين ، ليس دليلاً على عدم وجوده** .

فسيكون ذلك ضد إلحادهم الذي هُم عليه .

و في هذا نقول : أنَّ العدل بين هذا و هذا لا يقتضي بما يراه العين ، لا يقتضي بالمُساواة بينهم ، فإذا أخذ عادِلٌ العدلُ بينَ النّاسِ بما رآه بعينه فقط ، فسيقتضي ذلك بالمُساواة بينهم (غالباً) ، وكثيراً ما تكونُ المُساواة بين النّاس ظلم !

فإذا ظلمَ مَن يعدُل بين النّاس ، هُنا قد عَمَّ الفسادُ بأكمله

.

لذا ، يا أخي المُسْلِم ..

إذا حكَمتَ ؛ فاعْدِل .

و إذا عدَلْتَ ؛ فَخيرُ الحُكَّامِ أَنت .

و إذا جَرَحتَ ؛ فداوي .

و إذا داويتَ بالكَلَمِ الطّيّبِ ؛ فَخيرُ الحُكَماءِ أَنت .

وَ تذكّر قولِه تعالى : وَ قُولوا لِلنَّاسِ حُسْناً . البقرة .

ألا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوب :

ذات يومٍ ، ذهب أحمد إلى بيتِ علي ، فسألهُ علي ؛ كَم تأخُذ مِن الوقتِ في المشي مِن بيتِك إلى هُنا ؟

فردَّ عليهِ قائلاً : يستَغرِقُ ذلك مائة مرّة (**سُبحان الله**) و مائة مرّة (**أستَغْفِرُ الله**) و مائة مرّة (**الحَمدُ لله**) و هكذا ..

أذكرُ الله سبحانهُ و تعالى، على حَسَب طولِ الطَّريق ، فإنْ كان الطّريقُ طويلاً، كان الذّكرُ كثيراً ، و الحمدُ لله .

فقال له علي : للهِ درُّكَ يا أَحمَد !

سُبحان مَن قال : وَ اذْكُرُوا اللهَ كَثيراً لَعلَّكُم تُفلِحون .

فمِن أسباب الفَلاح ، هو أن يكون العبدُ ذاكِراً لله .

و خيرُ العبدُ ، مَن يذكُر اللهَ كثيراً .

كما قال الله سُبحانهُ و تعالى في سورة البقرة : فاذْكُرُوني أَذْكُرْكُم و اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرون .

و عليكَ أن تقرأ معي هذه الآيات الكريمة ، و تدبّر قولهِ تعالى في سورةِ الصّافّات :

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝

يونُس عليهِ الصلاة و السّلام ، عندما أُلقيَ في بطنِ الحوت ،

ماذا قال ؟

_ لا إله إلّا أنتَ سُبحانَكَ إنّي كُنتُ مِن الظالمين !

و الله سبحانهُ و تعالى يقول : فلولا أنَّه كان من المُسبّحين ، لَلَبِثَ في بَطنِهِ إلى يومِ يُبعثون !

أي أنَّه ، لولا ذكرهِ لله ، و لولا قولِهِ : لا إله إلّا أنتَ سُبحانَكَ إنّي كُنتُ مِن الظالمين ؛ لمَكَثَ في بطن الحوت إلى يومِ القيامة !

فالعِبرة واضِحة أخي المُسلِم !

مَن يذكُر الله ، ليسَ كمَن لا يذكر الله !

أتعلَم يا أخي المُسلِم ، أنَّ هُنالك الكثيرُ من لا يذكُر الله !؟

و الله سبحانهُ و تعالى يقول في سورة طه : و مَن أعرضَ عَن ذِكري فإنَّ لهُ مَعيشةً ضَنكاً و نحشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمى .

فإذا قِمتَ إلى الصّلاة ، و قرأت ما تيسّر مِن القُرآن الكريم ، فاحمُد الله الّذي جعل لك لساناً ذاكراً .

و قد قال الله سبحانهُ و تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: 35]

تخيل أن يكون لك مغفرة و أجر عظيم !

عِندَ ربّ العِباد !

ألا يسرُّنا هذا ؟

فعلى المؤمِن دائماً أن يفعل ما أمره الله سبحانهُ و تعالى ، فوالَّذي نفسي بيده لو فعلنا ما أمرنا الله به ، و انتهينا عمّا نهاهُ الرحمن عنّا ، فسنفلح في الدُّنيا و الآخرة .

و إليكُم هذه القِصّة للعِبرة :

كان أحد السلف أقرع الرأس أبرص البدن أعمى العينين مشلول القدمين واليدين وكان يقول: 'الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً ممن خلق، وفضلني تفضيلاً .'

فمر به رجل فقال له: مما عافاك؟ أعمى وأبرص وأقرع ومشلول فمما عافاك؟

فقال: ويحك يا رجل؛ جعل لي لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وبدناً على البلاء صابراً .

. . . .

سُبحان الله !

تذكّر أن يحمد الله الذي جعل له لساناً ذاكراً !

فالحمدُ لله .

مِتعةُ التّدبُّر :

١- ما هو التدبر بشكل عام ؟ (٦٧)
٢- نظرة عميقة في التدبر . (٦٨)
٣- الاستنباط . (٦٩)
٤- العلاقة بين الاستنباط و التدبر . (٦٩)
٥- العلاقة بين التفسير و التدبر . (٧٠)
٦- أهم نتائج البحث . (٧١)
٧- تدبر بعض الآيات الكريمة :
١ الإيمان بالله عز و جل . (٧٤)
٢ حسن الظن بالله الغفور الرحيم . (٨٤)
٣ عبادُ الرحمن . (٩١)
٨- ختاماً . (٩٦)

..

ما هو التدبُّر بشكل عام ؟

لغويّاً : يأتي من فعل (دَبَرَ) ، أي النّظر في عواقب الأمور ، و ما تؤول إليه .

و تدبُّر القُرآن ؛ هو أن يقرأ كُلٌّ منّا بتعمُّق و بتفكُّر و تأمُّل ، و ضربُ الأمثالِ على واقعنا ؛ على سبيل المثال . .

قال الله عزَّ و جل في سورة البقرة : و إِذ قالَ مُوسى لِقومه يا قومِ إِنّكُم ظلَمتُم أنفُسَكُم باتّخاذكم العِجل .

فهُنا عندما يقرأ المُسلم بتدبُّر ، و يُفكّر ، و يصل إلى نتيجة ؛ أنَّ الإنسان يظلم نفسه إذا اتّخذَ مِن دونِ اللهِ إلهاً !

و يضرب مثلاً على مَن لا يفعل ما أمرهُ الله ، و يخضع لشهواته !

فهُنا يتذكّر قولهِ تعالى في سورة مريم : أضاعوا الصّلاةَ و اتَّبَعوا الشّهوات .

نظرة عميقة في التدبُّر :

معنى التدبر لغة: النظر في عواقب الأمور , التعقل, ..

وفيها من الدلالات: التتبع, والوصول إلى غايات, والتعمق.

ثم فرق بين التدبر ومرادفاته, كالتأمل, والتأويل, فذُكر أنه مختص بالقرآن, ويتميز عن غيره بالنظر في الدلائل والعواقب.

وفي التأمل: التثبت والتلبث والانتقال.

ويلتقي التأويل مع التدبر في الغايات والمقاصد, لكن التدبر لعامة المؤمنين, والتأويل لأهل العلم والنظر.

ثم عرض لصيغة (تدبر): تفعُّل, فذكر أنها تدل على المطاوعة والتكثير, وفيها جهد ومشقة وإطالة نظر وتأمل.

تدور مادة الكلمة حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها ، فالتدبُّر هو : النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه.

قال الزجاج (ت : 311 هـ): " التدبر : النظر في عاقبة الشيء ".

وقال ابن فارس (ت : 395 هـ): " دبر: الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء ".

وقال الجرجاني (ت : 816 هـ) في تعريف التدبر: " عبارة عن النظر في عواقب الأمور ، وهو قريب من التفكر ، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل ، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب "

والتدبير والتدبر: نظرٌ في عواقب الأمور، فتنظر إلى ما يؤول إليه عاقبتُه.

الاستنباط:

الاستنباط في اللغة: هو: الاستخراج **استفعال** من أَنْبَطْتُ كذا ومنه قوله تعالى: (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) [النساء: 83] أي: يستخرجونه .

وإِنْبَاطُ الماء، واسْتِنْبَاطُه: إِخْرَاجُه، واسْتِخْرَاجُه .

ويَظْهَرُ من استعمالات العلماء لمادة نبط؛ أن لفظ الاستنباط في اللغة يُستخدم لكل ما أُخْرِجَ أو أُظْهِرَ بعد خفاءٍ. ويدل على ذلك صراحةً الأقوالُ التالية:

قال ابن جرير الطبري (ت: 310هـ): "وكل مستخرج شيئاً، كان مستتراً عن أبصار العيون، أو عن معارف القلوب؛ فهو له مستنبط" .

وقال ابن دريد (ت: 321هـ): "وكل شيء أظهرته بعد خفائه، فقد أنبطته واستنبطته... واستنبطتُ هذا الأمرَ، إذا فَكَّرت فيه فظهر".

وقال المنتجب الهمداني (ت: 643هـ): "يقال لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤيةُ العيونِ، أو معرفةُ القلوبِ؛ قد اسْتُنْبِط" .

وقال الزبيدي (ت: 1205هـ): "وكل ما أُظهر بعد خفاءٍ فقد أُنْبِطَ واسْتُنْبِطَ، وفي البصائر: وكل شيء أظهرته بعد خفائه، فقد أنبطته واستنبطته" .

وبعد معرفة معنى الاستنباط يمكن بيان العلاقة بين الاستنباط والتدبر بما يلي:

1- أن التدبر أصل الاستنباط، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبره والتأمل في معانيه .:

قال الإمام ابن القيم (ت: 752 هـ) : " والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حُكْمَاً أو حُكْمَيْن، ومنهم من يفهم منها

عشرةَ أحكام، وأكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ، دون سياقه، ودون إيمائه، وإشارته، وتنبيهه، واعتباره " .

وقال ابن عاشور (ت: 1393هـ): "وإنك لتمرُّ بالآية الواحدة، فتتأملها، وتتدبرها، فتنهال عليك معانٍ كثيرة، يسمح بها التركيب، على اختلافِ الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثرُ عليك، فلا تك . مِنْ كثرتها . في حَصَر، ولا تجعل الحملَ على بعضها، منافياً للحمل على البعض الآخر، إنْ كان التركيبُ سمْحاً بذلك" .

2- أن التدبر يعم العلماء وغيرهم ، والاستنباط خاصٌّ بأولي العلم .

العلاقة بين التدبر والتفسير :

يمكن بيان العلاقة بين التدبر والتفسير وذلك بمعرفة مصطلح التفسير ، ثم المقارنة بينه وبين التدبر .

التفسير في اللغة:

التفسير: تفعيل من الفَسْر وهو: البيانُ أو الإبانةُ وكشفُ المُغَطَّى .

فالفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه . يقال: فَسَرْتُ الشيءَ أَفْسِرُه بالكسر فَسْراً، ويقال: فَسَر الشيءَ يفْسِرُه ويَفْسُرُه وفسَّره ، والتشديدُ أعمُّ في الاستعمال، وبه جاء القرآنُ، كما قال تعالى: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) [الفرقان]. أي: بياناً وتفصيلاً .

ويقال: استفسرته كذا، أي سألته أن يُفَسِّره لي .

قال ابن الأعرابي (ت: 231هـ): "الفَسْر: كشف ما غُطِّي، وقال الليث: الفَسْر: التفسيرُ وهو بيانُ وتفصيلُ الكتاب" .

وقيل مأخوذ من قولهم: فسَرْتُ الحديث، أفسِرُهُ، إذا بيَّنْتُه، وفسَّرته تفسيراً كذلك .

ومنه الفَسْر والتفْسِرة وهي: نَظَرُ الطبيبِ إلى الماء وحُكْمُه فيه .

وكلُّ شيء يُعرف به تفسيرُ الشيء ومعناه فهو تفْسِرته .

ومما يلاحظ أن اشتقاق كلمة (فَسَرَ) تدل على البيان، والإيضاح، والإظهار، والكشف. فتفسير الكلام: بيانه، وإيضاحه، وإظهاره، والكشف عن المراد منه .

(أهم النتائج من البحث)

وبعد النظر في كلام المفسرين وفي الآيات الواردة في التدبر يمكن لنا أن نخلص إلى النتائج التالية :

1- أن التدبر لا يكون إلا بالتأمل:

يقول الزمخشري (ت : 538 هـ): " تدبُّر الأمر : تأمُّله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن : تأمل معانيه وتبصر ما فيه" .

وقال البيضاوي(ت : 685 هـ): " (أفلا يتدبرون القرآن): يتأملون في معانيه" .

وقال البقاعي (ت : 885 هـ): " (أفلا يتدبرون): أي يتأملون " .

وقال الشوكاني (ت : 1250هـ): " يقال تدبرت الشيء : تفكرت في عاقبته وتأملته ، ثم استعمل في كل تأمل" .

ويقول الآلوسي (ت : 1270 هـ): " وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه" .

2- أن محل التأمل هو مدلولات الآيات :

قال البغوي (ت : 516 هـ): " (أفلم يدبروا) يتدبروا (القول): يعني: ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ " .

وقال ابن عاشور (ت : 1393 هـ): " فمعنى (يتدبرون القرآن): يتأمّلون دلالته" .

3- أن غاية التدبر هي الهداية والاعتبار :

قال ابن عطية (ت : 481 هـ): "وتدبر القرآن : زعيم بالتبيين والهدى" .

وهي هدايتان :

هداية عامة: وهي الإيمان بكون هذا القرآن حق من عند الله تعالى ، وأن من جاء به رسول صدق . وهي الواردة في قوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) [النساء: 83].

وهداية خاصة : وهي الوصول إلى مقاصده التفصيلية التي تدل عليها آياته الكريمة.

قال ابن عاشور (ت : 1393 هـ): " وذلك يحتمل معنيين : أحدهما أن يتأمّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين ، أي تدبّر تفاصيله؛

وثانيهما أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله ، وأنّ الذي جاء به صادق" .

وقال السعدي (ت : 1367 هـ) : "أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، و لحذَّرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل" .

4- أن التدبر مبني على معرفة التفسير وفهم المعاني :

يتضح ذلك من قول الزمخشري (ت : 538 هـ): " فمعنى تدبر القرآن : تأمل معانيه وتبصر ما فيه" .

فالمعاني إذاً معلومة للمتدبر ، لذا فإنه ينتقل إلى التأمل والتبصر لأجل الوصول إلى التدبر . ومثله قول البيضاوي (ت : 685 هـ): "(أفلا يتدبرون القرآن): يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه" .

5- أن صحة التدبر مرهونة بسلامة القلب :

لذا يقول جل وعلا : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) [محمد: 24]. فالمشركون الذين أصابهم الرين لم ينتفعوا بهذا القرآن . بل وصل بهم تدبرهم إلى القول بأنه شعر أو سحر.

6- أن اتّباع المتشابه صاد عن التدبر :

قال قتادة (ت : 118 هـ): "إذاً والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبره القوم فعقلوه ، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عن ذلك " .

7- أن ثمرة التدبر تحصل بالدوام والاستمرار عليه :

قال البقاعي (ت : 885 هـ): "ولما كان الاستفهام إنكارياً فكان معناه نفياً ، فهو لكونه داخلاً على النفي ، نفي له فصار إثباتاً ، فكان كأنه قيل : هل يجددون التدبر تجديداً مستمراً لترق قلوبهم به وتنير بصائرهم له ، فيكفوا عن الإفساد والتقطيع " .

و الله سبحانهُ و تعالى يقول في سورة النّساء : أفَلا يتدبَّرون القُرآن و لو كانَ مِن عندِ غيرِ الله لوجدوا فيهِ اختِلافاً كَثيراً

فيجب أن نتأمّل و نتدبّر كلام الله ، و تذكّروا ؛ كُلَّما تدبَّرنا ، كُلَّما كان التّأثير علينا بشكل إيجابي .

و يقولُ ابنُ القيّم : المقصود من القراءة فهمُهُ و تدّبرهُ ، و الفقهُ بهِ ، و العملُ بهِ ، و تلاوتُهُ و حفظُهُ وسيلة إلى معانيه .

١_ الإيمان باللهِ عزَّ و جل :

الإيمانُ باللهِ سبحانهُ و تعالى يقتضي بمَن آمَنَ باللهِ و ملائكتهِ و كتبهِ و رسلهِ و اليومِ الآخر و بالقدر خيرهِ و شرّهِ .

و الإيمانُ باللهِ لا يكتفي على القولِ فقط ، بلِ الإيمان قولٌ و فعل ، فعندما نؤمِن بكتابِ الله عزَّ و جل ، و قال فيهِ : و أقيموا الصّلاة ؛

فهذا امرٌ إلهي لمَن آمنَ به و بنبيّهِ و بالكتاب الذي أنزله على نبيّه ، فيجب على المؤمِن أن يفعل ما أمرهُ الله و ان ينتهي عمّا نهاه الله عنه ، و إن آمنَ باللهِ و تدبّر قولهِ تعالى في سورةِ الفاتحة : إيّاكَ نعبُدُ و إيّاكَ نستعين .

يجب ألّا يشرك باللهِ في العبادة ، و ألّا يستعين إلّا به ، و يجب أن يؤمن أنَّ لا أحدَ يعلم الغيب إلّا هو ، فلا يجب أن يخوض في علم الغيب ، أو يؤمن بالخرافاتِ كالسّحرةِ و مُفسّرو الأبراج ...إلخ .

فكما قال نبيّنا محمّد ﷺ : و إذا استعنتَ فاستعِن بالله .

يقول الله سبحانهُ و تعالى في سورة البقرة :

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾

هُنا ، و مع القراءة بتدبّر ، نلاحظ أمرًا قد يكون واضحاً ..

ففي قوله تعالى على لسان بني إسرائيل (**قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ**)..

أي ؛ أتسخر بعقولِنا **!؟**

وقولهم (أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً) وهذا ما يسمى استفهام بطريقة الإنكار، يدل على سفه عقولهم وسوء أدبهم و ظنهم واعتقادهم بنبيهم وعدم توقيرهم له وجهلهم بعظمة الله – تعالى – وايضا ناتج عن غلظ طبعهم وجفاءهم ومعاصيهم، وكان الواجب عليهم التسليمَ لأمر الله وأمرِ رسوله لأنهم لو كانوا عقلاء لامتثلوا أمر نبيهم ، وانتظروا النتيجة بعد ذلك والحكمة من ذبح البقرة.

ثم (**قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ**) ..

فهُنا نستنتج أنَّ الاستهزاء و السّخرية ، مِنَ الجهل !

أي إذا رأيت قوم يسخرون مِن قوم ؛ فاعلم أنَّ هذا مِن جهلهم !

و لكن ، عندما نقرأ قوله سبحانه و تعالى في سورة هود :

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾

و هذه مِن قصّة نوح عليه الصلاة و السلام عندما أمرهُ الله أن يصنع السّفينة ، فكان قومه يمرّون عليه و يسخرون منه ، و يقولون له : البارحة كُنتَ نبيّاً و الآن نجّاراً !

فقال لهم : أن تجهلوا منّي فسنجهل منكم ، و المقصود من الكلام : أنّكم ستُلقون جزاء هذه السُّخرية ، أي سترون عاقبة سخريتِكُم .

و هُنالك قاعدة : الرَّد على السّيئة بِمثلِها قد تُسمّى بالسّيّئة ، و لكنّها لا تُعتبر سيّئة ، لأنّها تقتضي بأخذ الحق .

على سبيل المثال ؛ إن أتى أحدهُم و اعتدى عليّ ، فلمَّا أعتدي عليه بمثلِ ما اعتدى عليّ ، لا يُعتبر ذلك **اعتداء** إنَّما يُعتبر **أخذُ الحقِّ بالحقّ** ، و إن كانت **التَّسمية** اعتداء ، لأنّها تدخل في قانون (لِكُل فعل ردّة فعل) .

كما قال الله عزَّ و جل في سورة البقرة :

فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴿

[194 :سورة البقرة]

فالرّد بمثله مطلوب (أحياناً) ، بل و لا يُعتبر اعتداء ، لأنَّ الاعتداء مُصطلح يُعتبر و يُطلق على مَن بدأ به ، و لكن مَن ردَّها بمثلها ، فهو يأخُذ بحقّه بِمثلِ ما أُخِذَ مِنه .

و أيضاً في قوله سبحانهُ و تعالى في سورة البقرة :

{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}

يُطْلَقُ الشَّيْطانُ عَلى المُفْسِدِ ومُثِيرِ الشَّرِّ، تَقُولُ العَرَبُ: فُلانٌ مِنَ الشَّياطِينِ ومِن شَياطِينِ العَرَبِ، وذَلِكَ اسْتِعارَةٌ، وكَذَلِكَ أُطْلِقَ هُنا عَلى قادَةِ المُنافِقِينَ في النِّفاقِ .

و قوله سبحانهُ و تعالى في نفس السورة :

(يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذينَ آمنوا وَمَا يَخدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم)

قوله تعالى: {يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذينَ آمَنُوا } يعني المنافقين يخادعون الله و رسوله ﷺ والمؤمنين، بأن يُظهروا من الإيمان خلاف ما يبطنون من الكفر، لأن أصل الخديعة الإخفاء ، **{ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ }** وجعل الله خداعهم لرسوله خداعًا لهم ، لأنه دعاهم برسالته.

فهنا نتذكّر قوله سبحانهُ و تعالى في نفس السورة : **{ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾**

[77 :البقرة]

فهذا رد من الله سبحانه وتعالى على المُنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان أمام المؤمنين و يستهزِءون بهم في الغيب .

و أيضاً لِنضرب مثلاً على واقِعنا اليوم ؛ على مَن يُكلّمُكَ بطريقة سليمة ، بل تشعر و كأنّه يعتبِرُك كأخٍ له ، و عندما يخلو مع أُناس آخرون يتكلم عنك في الغيب ، و يأخذها على أساس : بما أنّه لا يسمعنا و لا يرانا فلنتكلّم عليه براحتِنا !

أولا يعلمون أنَّ الله يعلمُ ما يُسرُّون و ما يُعلِنون ؟

و يجب أن نتذكّر حاجة مُهمّة ، ألا و هي : إن الله يعلمُ ما نُخفي و ما نُعلِن . .

فلا نجعل الخلوة معصية ، فلنجعلها عِبادة !

فواللهِ هُنالك مَن يسعى إلى أن يخلو لكي يُقيم العِبادات ، و لكي لا تُحسب عليهِ رياء !

فالَّذي يصحى في أواخر الليل و يرى كُل مَن حولهِ نائمون ، و يخلو لكي يُقيم الليل ، فقط لوجه الله ..

أليس بشرٌ مِثلُنا ؟

أنخلو بأنفُسِنا لكي نعصي الله على حجّة : أنَّ كُل مَن حولِنا نائمون فلنفعل ما تشتهي أنفُسِنا من كل سوء !؟

أنجعل الله أهون النّاظرين !؟

و هُنالك قصة مشهورة رويت عن عمر بن الخطاب رضيَ اللهُ عنه، في ذات ليلة خرج الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، رضى اللَّه عنه، مع خادمه –أسلم– ليتفقد أحوال المسلمين في جوف الليل، وفى إحدى الطرق جلس ليستريح من التجوال إلى جانب أحد الجدران، فإذا به يسمع امرأة تقول: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه – أي اخلطيه – بالماء، فقالت الابنة: يا أُمَّاه، وما علمتِ ما كان من عَزْمَة أمير المؤمنين اليوم؟!، قالت الأم: وما كان من عزمته؟، قالت: إنه أمر مناديًا فنادى: لا يُشَابُ اللبن بالماء، فقالت الأم: يا بُنيّتي، قومي إلى اللبن فامْذقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر، ولا منادى عمر، فقالت الصبيّة: واللَّه ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فربّ أمير المؤمنين يرانا.

فلما سمع عمر بن الخطاب ذلك أُعجِب بالفتاة لمراقبتها وخشيتها لله، وقال: يا أسلم، حدّد الباب بعلامة، واعرف الموضع، ثم مضى، فلما أصبح قال: يا أسلم، امضِ إلى الموضع فانظر من القائلة؟، ومن المقول لها؟، وهل لهما من بعل – زوج–، فذهب أسلم إلى المكان، فوجد امرأة عجوزًا، وابنتها أم عمارة، وعلم أنْ ليس لهما رجل، ثم عاد فأخبر عمر بن الخطاب.

فدعا عمر بن الخطاب أولاده، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوّجه، ولو كان بأبيكم حَركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله بن عمر: لي زوجة، وقال أخوه عبد الرحمن: لي زوجة، وقال ثالثهما عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوّجني، فبعث إلى الجارية فزوّجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتًا، ولدت هذه البنت ابنة صارت أمًّا لـ "عمر بن عبد العزيز"، خامس الخلفاء الراشدين – رضى الله عنه – إنها أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي، فأكرمها الله في الدنيا بزواجها من ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وجعل من نسلها أميرًا للمؤمنين هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

إن كان أمير المؤمنين لا يرانا ، فربّ أمير المؤمنين يرانا !

هذا هو الإيمان الحقيقي ، فليكُن إيمانُنا هكذا !

فعندما تقول لأحدهم : إني أؤمن بالله ، فليكن هذا الإيمان حقيقي ، فلتكُن على يقين أنَّ الله سبحانهُ و تعالى الذي تؤمن به يراك ، يسمعك ..

و عندما نسمع أو نقرأ مِثل هذه القصص ؛ علينا إن كُنّا ظالمي أنفُسِنا فلنخجل ، و ليس مِنَ العيب أن نتعلّم أو نفعل مِثلما يفعلون الأنبياء و الصحابة و التّابعين ، و القصص التي نسمعها و نشعر بالفخر بشخصيّاتها مِن قوّةِ إيمانها بالله ، و مِن شدّة خشيتِها لله عزَّ و جل ، بل علينا أن نخشى الله في أنفُسِنا ، و إن كُنّا ندَّعي أنَّنا نُحبُّ الله سبحانهُ و تعالى ؛ فعلينا أن نفعل ما أمرنا الله به ، و أن ننتهي عمّا نهانا الله عنه .

العجَب مِن ذلك الَّذي يدّعي أنَّهُ يُحبُّ الله ، و إن فعل معصية يقنط من رحمة الله ، بل و يتّبع تلك المعصية التي تُراعي شهواته ، و ليس غريباً أن يترك صلاته !

و لكنّه يدّعي بعد كُل هذا أنّهُ يُحبُّ الله !

و العَجَب مِن تلك الَّتي تدَّعي أنّها تُحبُّ الله ، و تَتَّبِع ما تشتهِ نفسها ، و لا تفعل بما تُؤمر ، و إذا رأت فتاة مُستقيمة تنتقِدُها نقدًا هدَّام ليس بنّاء !

بلِ العجَب مِن مَن يدَّعي أنَّهُ يُحبُّ الله ، و يعصيه ، و يكون العصيانُ أمراً طبيعياً بالنّسبةِ له .

إن الله سُبحانهُ و تعالى يقول في سورة فُصِّلت :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[30 :فصلت]

أي أنَّهُم آمنوا بالله الواحد ، ثمَّ استقاموا ؛ أي فعلوا ما أمرهُم الله ، و ابتعدوا عمّا نهاهم الرحمن عنه .

و ركّز في قولهِ سبحانهُ و تعالى (**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**) فالله سبحانهُ و تعالى يُسمّي المُلتزِم بأوامر الله بالمُستقيم ، فالمؤمن الحقيقي عندما يقرأ قولهِ تعالى ، فلم يعد يهتَم في مَن يُسمّيه بالمُتشدّد ، أو الرجعيّ ، أو المُتخلّف ... الخ .

قد تكون هذه المُصطلحات و المُسمّيات موجِعة قليلاُ عندما تكون مِن المُسلمين ، و لكن لا بأس ، يكفينا قولِ الله سبحانهُ و تعالى ، أمَّا هذه القلّة ، فنسأل الله أن يهديهم .

ومن معنى هذه الآية أيضاً ما روي في «صحيح مسلم» عن سفيان الثقفي قال : قلتُ : يا رسول الله قُل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرَك . قال : " قُل آمنت بالله ثم استقِمْ " .

وعن أبي بكر { ثُمَّ استقاموا } : لم يشركوا بالله شيئاً ، وعن عمر : استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعَالب ، وقال عثمان : ثم أخلَصوا العمل لله ، وعن علي : ثم أدّوا الفرائض . فقد تولى تفسير هذه الآية الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم .

وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى الاستقامة في الإيمان وآثاره ، وعناية هؤلاء الأربعة أقطاب الإسلام ببيان الاستقامة مُشير إلى أهميتها في الدين .

و أيضاً يقول سبحانهُ و تعالى في سورة الرعد :

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾

[سورة الرعد: 23]

أي أنَّ الملائكة الكِرام يدخلون عليهم من كل باب ، و يقولون لهم :

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

[سورة الرعد: 24]

بما صبرتم !

أي ؛ الصّبر على الفِتَن و الشّهوات و المعاصي ..

فالدُّنيا سِجنُ المؤمن كما قال النبيّ ﷺ .

بالذَّات في وقتِنا هذا ، لقد انتشرتِ الفِتَن ، فنسأل الله أن يُثبتنا .

و أسأل الله أن يجعلنا و إيَّاكُم مِن أهلِ الجنّة .

ثانياً ؛ قولِهِ تعالى :

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾

هُنالك أمرٌ مُنتشر في هذا الوقت !

_ ما هذا الأمر ؟

عندما ترى أحدهُم ، و تقول له : إنَّ الله يأمُرك أن تفعل كذا و لا تفعل كذا ..إلى آخره .

فلم يأخُذ بكلامك في البداية ، بل و يستغرب منه ، و ليس غريباً أن يطلب منك أدلّة ، و يسألُك لماذا طلب الله منّا هكذا ..إلى آخره .

فتخيّل أنَّ هذا نبيّ الله !

و كليمه أيضاً ..

و هُم يعلمون هذا الأمر ، كما يعلم ذلك الذي قُلتَ لهُ أنّك لم تأتِ بشيءٍ مِن عندِ نفسِك .

و مع هذا كلّه ، تراهم يستغربون !

و هذا طبيعي ؛ لأنَّ منهج الله لا يقبله مَن يخضع لشهوته الحمقاء .

و الله سبحانهُ و تعالى اختار البقرة ، و ليس نوع ثاني من الحيوانات ، و ذلك لأن البقرة من جنس ما عبدوه (العِجْل) فكأنّهُ أراد أن يزيلَ من نفوسهم من هذه العبادة .

هذا ، و اللهُ أعلم .

فالعِبرة واضحة صديقي ، لا تستهزئ بالنّاس ، و لا تُلح بالنّصيحة ، إن كان مَن يتلقّى هذه النصيحة يخضع لما هو عكس ما قلت له .

٢_ حسنُ الظَّنّ بِاللهِ الغفورِ الرَّحيم :

مِن صفاتِ المؤمنين ؛ حسنُ الظّن بالله ، و هذا يرتبط بإيمان المرء بالقدر خيرهِ و شرّه ، و المُهِمُّ في حسن الظّن بالله ؛ هو عدم القنوط من رحمة الله عزَّ و جل ، بل و إن أُصيبَ المرء بشيء ، فمن الجهل أن يسيء الظّن باللهِ العليمِ القدير !

بل كما قال خيرُ البشر ﷺ : ما أصابك لم يكن ليخطئك ، و ما أخطأك لم يكن ليُصيبك .

و أيضاً قال : لا تقل : لو أني فعلتُ لكان كذا و كذا ، و لكن قل : قدّر الله و ما شاء فعل .

فالمؤمن الحقيقي الّذي يؤمن بالقدرِ خيره و شرّه ، لم يندم على ما فاته ، و لم يُفكّر بما سيأتي ، و لا يفكّر إلّا باللحظة التي هو فيها.

كما قال ابن عمر رضي الله عنهما : إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح و إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء .

و قال ابن القيّم –رحمهُ الله–: "وأكثرُ النّاس يظنّون بالله ظنّ السّوء فيما يختصّ بِهم، وفيما يفعلهُ بغيرهِم، ولا يسلم من ذلك إلّا من عرفَ الله وأسماءهُ وصفاته، وعرفَ موجبَ حكمته وحَمده".

فتدبّروا كلام الله و أسمائهِ و صفاته لِتُحسنوا الظنَّ بالله .

و إن أُصبت بشيء فاصبر و استعن بالله ، فالصّبرُ في ذلك خيرٌ مِنَ التحسُّر و الكلام الذي لا يُقدّم و لا يؤخّر ، و الأهم من ذلك كلّه ، ألّا تقنط من رحمة الله ، بل قل : رضيتُ يا رب ، و استعن بالله ، و اصبِر .

يقول الله عزَّ و جل في سورةِ النّساء :

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

[النساء: 27]

أي أنَّ الله سبحانهُ و تعالى يُحب ، و يُريد أن يتوب على مَن أسرف على نفسه و ظلم نفسه و عصاه !

فالله سبحانهُ و تعالى يُحبُّ العبد التوّاب ، و يقول في سورة البقرة :

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ

بل و يجب على المُسلِم إذا مرّت عليه لحظات و لم يقدر على نفسهِ أمام شهوته ، أي ضعُفَ أمام نفسه (و هذا طبيعي) ، يجب أن يحسن الظن بالله ، و أن يتوب و ينوب إلى الله ..

فهذا ، و الله سبحانهُ و تعالى يُخبرنا بأنَّهُ يُريد أن يتوب علينا ، فيجب إن كان منّا مَن فعل ما لا يُرضيه ، أن يتوب مِن هذا الفعل لوجه الله ، و ظنَّه أنّه فعل كثيراً ما لا يُرضي الله ، يجب ألّا يُفكّر بطريقة سلبيّة تجعله يقنط من رحمة الله !

و القنوط (أي اليأس) مِن رحمة الله ، و سوء الظن به ، مِن الكبائر !

و تذكّر قولهِ سبحانهُ و تعالى : **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا**﴾

أتعلم ما المقصود من قوله سبحانهُ و تعالى !؟

الَّذين يتّبعون الشّهوات ، و يتّبعون أهواءهم ، و يعصون الله ، يريدون أن يُضلّونكم و يدعمون الشّهوات و الغرائز العدوانيّة التي في داخلكم ، و أن يخرجوكم مِمّا أنتم فيه ، و يُريدوا أن تبتعِدوا عنِ الطّريق السويّ و المُستقيم ، و أن تأخذوا بلذّةِ المعصية ، و تُعمّروا بما تشتهي أنفُسكُم في الحياةِ الدُّنيا ، و تُهدموا الحياة الحقيقية الَّتي في الآخِرة ، الَّتي هي خيرٌ مِن هذه الدُّنيا ، كما قال الله سبحانهُ و تعالى في سورة الأعلى :

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

[الأعلى: 17]

فقليلاً ما يسمعون هذهِ الآية الكريمة في سورة النساء و تفيضُ أعيُنهم دمعاً ، و كثيراً ما يمرُّون عليها و يقرؤونها و لا يفهمون معناها .

تذكَّروا أمرًا مُهمًّا جدًّاً ، ألّا تقنطوا من رحمة الله ، مهما بلغت ذنوبكم ، ارجعوا ، و توبوا ، فإنَّ الله توّابٌ رحيم .

و الله سبحانهُ و تعالى يقول في سورة الزمر :

﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[الزمر: 53]

فالخطاب بقوله : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم } تمهيد بإجمال يأتي بيانه في الآيات بعده من قوله : { وأنيبوا إلى ربكم } [الزمر : 54] . وبعد هذا فعموم عبادي وعموم صلة الذين أسرفوا يشمل أهل المعاصي من المسلمين وإن كان المقصود الأصلي من الخطاب المشركين على عادة الكلام البليغ من كثرة المقاصد والمعاني التي تفرغ في قوالب تسعُها ، ولعل وجه ثبوت الياء في هذه الآية دون نظيرها وهو قوله تعالى : { قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم } [الزمر : 10] ، أن الخطاب هنا للذين أسرفوا وفي مقدمتهم المشركون وكلهم مظنة تطرق اليأس من رحمة الله إلى نفوسهم ، فكان إثبات (يا) المتكلم في خطابهم زيادة تصريح بعلامة التكلُّم تقوية لنسبة عبوديتهم إلى الله تعالى إيماء إلى أن شأن الرب الرحمة بعباده .

وكما قال الإمام الشوكانى : واعلم أن هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله ، لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا : أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف على المعاصي . . ثم عقب على ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة . . ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال : (إِنَّ الله يَغْفِرُ الذنوب . .) فالألف واللام قد صيرت الجمع الذى دخلت عليه للجنس الذى يستلزم استغراق أفراده ، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك.

فمَن أسرف على نفسه ؛ أي أكثَرَ مِنَ المعاصي ، و ابتعد عن السّبيلِ السويّ ، فليعُد ، فالله سبحانهُ و تعالى يغفِرُ الذُّنوب جميعاً .

فالقنوط بشكل عام ؛ هو أن تيأس مِن رحمةِ الله ، أن تسيء الظَّن بالله الغفور الرحيم ، أن تجعل ذنوبك كبيرة ، و تنسى أنَّ اللهُ أكبر ، تذكّر دائماً ؛ مهما كانت ذنوبك كبيرة ، فإنَّ عفوَ اللهِ أكبر .

فالله سبحانهُ و تعالى يقول في سورة الحجر : ﴿ **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ**﴾

[52 :سورة الحجر]

أي عندما بعثَ الله إلى نبيّهِ إبراهيم عليه الصلاة و السّلام الملائكة ، فدخلوا عليه ، و خاف مِنهم [وَجِلُون = خائِفون] .

ثم يقول الله سبحانهُ و تعالى على لِسان هؤلاء الملائكة : ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾

[سورة الحجر: 53]

أي لا تخَف يا إبراهيم ، فنحنُ بُعِثنا لكي نُبشِّرُك بِأنّك ستصبح أباً لِغُلامٍ ذي علم كثير بشريعة الله تعالى ؛

[و هو إسحاق عليه الصلاة و السّلام]

فتعجَّب إبراهيم عليه الصّلاة و السّلام ، كما في قولهِ سبحانهُ و تعالى : ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾

[سورة الحجر: 54]

أي أنَّهُ قال لهُم مُتعجّباً : أتُبشروني بمَن و أنا في هذا السِّن !؟

﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾

[سورة الحجر: 55]

أي أتيناك و نحنُ نُبشّرُك بكلام صدق ، من الله سبحانهُ و تعالى ، فلا تكُن مِن القانطين ؛ أي لا تكُن كمَن لا يثقون بقدرة الله ، و يائسين من قدرته ، فالله على كُلِّ شيءٍ قدير .

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

[سورة الحجر: 56]

أي مَن ذا الذي لا يثق بقدرة الله و ييأس مِن رحمته إلّا الضَّالّون ، الذين لا عِلمَ لهُم باللهِ العليمِ القدير .؟

فمِن هذه الآيات الكريمة نستنتج ، أنَّ عدم الثقة بقدرةِ الله ، و اليأس مِن رحمةِ الله عزَّ و جل لا يجوز !

بل على المُسلم الذي يؤمِن باللهِ العظيم العليم القدير القادر ..

أن يثِق بقدرةِ الله ، و أن يرجع إلى ربِّهِ مَهما بلغت ذنوبه .

فارجع إلى اللهِ تائِباً ، نادِماً على ما فعلتهُ مِن قَبل ، مُتذلّلاً واثقاً مُحسِن الظّنِّ باللهِ الغفور الرحيم .

٣_ عِبادُ الرَّحمن :

من هُم عِبادُ الرَّحمن ؟

هم الذين شُرِّفوا بالانتسابِ إلى الله سبحانهُ و تعالى ، و هم أهل لرحمة الله . . ، و مِن صفاتهم :

أنَّهم يعبدون الله كأنهم يروه ، فإن لم يروه فإن الله يراهم .

قبل أن يفعلوا أي شيء ، يتذكّروا بأن الله يعلم و يرى ما يفعلونه ، فهُم أحرص النّاس على دينِ الله ، و أهم ما لديهم رضا الله عزَّ و جل .

أصدقُ النّاس في القولِ و العمل ، لا يقولون زوراً و لا يشهدونه ، و إن رأى أحدهم مُنكِراً يُغيّره بيده ، فإن لم يقدر فبلسانه ، و إن لم يقدِر فبقلبه .

التّواضع في الكلام و في المشي ، كما قال الله عزَّ و جل في سورة الفرقان : و عبادُ الرَّحمن الّذين يمشونَ على الأرضِ هوناً .

الإعراض عن الجاهلين و عدم الخوض في الجدال معهم ؛ كما قال الله عزَّ و جل في نفسِ الآية : و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً .

فهُم يعلمون جيّداً بأنَّ الوقت ثمين ، فلا يُسرفوا ذلك الوقت في الجدالِ مع مَن لا يفقه في شيء .

يقول الله عزَّ و جل في كتابهِ الكريم :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[الفرقان: 63]

أي ؛ عباد الله الصّالحين ، الَّذين يمشون على الأرض بسكينة و تواضع ، و إذا تعرَّض لهم الجاهلون و السُّذج بأقوالِهم السَّاذَجة ، كان ردّهم سالِم مِنَ الجهل ، أي لا يردّون القول السَّاذَج بالقول السّاذَج ..

أي لو تدبَّر المؤمِن قولهِ تعالى في هذه الآية الكريمة لشعرَ بالطّمأنينة و راحةِ البال ، بل و بعضهُم تفيضُ أعيُنُهم دمعاً عند سماعِهِم قولهِ تعالى ، أو حتَّى في القراءة .

و لَكن هُنالك أمر ، لم ينتبه عليه الكثير !

_ و ما هو ؟

الله سبحانهُ و تعالى ، دائماً عندما يذكر كلمة (الأرض) في آياتِهِ الكريمة ، يسبقها بالحرف (في) ..

أي على سبيل المثال ، يقول الله سبحانهُ و تعالى في كتابه الكريم:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[العنكبوت: 20]

في الأرض .. و ليس على الأرض !

و أيضاً في قوله سبحانهُ و تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [20 :سورة الذاريات]

و في القُرآن الكريم لا نجد كلمة (على الأرض) إلَّا في آيتين !

في سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[الفرقان: 63]

و في سورة نوح ، عندما دعا نوح عليه الصلاة و السّلام على مَن جحد به طوال تسعة قرون و نصف من الدعوة : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾

[نوح: 26]

لا يوجد في القرآن الكريم كلمة (على الأرض) سوى في هذه الآيتين !

_ ما الغريب ؟

أوَّلاً ؛ من معاني (في) الجارّة ، أنّها تعمل عمل الاستعلاء (على) ففي قولهِ تعالى : (ولأُصلبنّكم في جذوعِ النّخل) أي ؛ على جذوعها .

و لكن الله عزَّ و جل ، اختصَّ في هذه الآيتين الكريمتين ، حرف الجر (على) التي تُفيد بذاتها الاستعلاء

و لكن ، ماذا نستنتج من هذا ؟

نستنتج أنَّ هُناك استعلاء محمود (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) ، و هُناك استعلاء مذموم (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ) .

و طبعاً ، نستنتج الاستعلاء المذموم في الآية الثَّانية ، من خلال قولهِ سبحانهُ و تعالى في سورة القصص : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

[القصص: 4]

أي ؛ استعلى و استكبر في الأرض و فرّق بين أهلها بطريقة طائفيّة ، و ذبّحَ أبناءهم و استعبدَ نساءهم ، أي أنَّه كان مِن المُفسدين في الأرض .

فاستعلاءُ فِرعون في الأرض كان مذموماً لا محموداً .

و أيضاً عندما نأتي لِقوله تعالى في سورة نوح : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾

[نوح: 26]

لا تترك على الأرض من هؤلاء الكافرين ديّاراً ؛ أي ولا واحد منهم يسكن داراً أو يدور حولها ، أو عليها .

أي بمعنىً أوضح ؛ لا تترك أحداً منهم أصلاً و اقطع دابرهم .

و كلمة ديّار ، لا تُستخدم إلّا في مواضع للنفي العام ، على سبيل المثال : ما في الدّار ديّار ، أي ليس فيها أحدًا بتاتاً .

. . .

فعلى الإنسان أن يختار !

إمَّا أن يكون مؤمناً مُتواضعاً ، يُذكَر في قولهِ تعالى أنَّهُ استعلى على الأرض استعلاء محمود ، أو يكون كافراً يُذكَر في قوله سبحانهُ و تعالى أنَّه استعلى على الأرض و لكن كفراً و تكبُّراً ، أي استعلاء مذموم .

فالفرق واضح جدَّاً عزيزي ، و الطّرق واضحة كعينِ الشّمس ، و الهدف واضح ، و المنهج أوضح .

و المُخيّر في هذا الأمر هو أنت / أنا / نحن /...

كما قال الله سبحانهُ و تعالى في سورةِ الإنسان : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

[سورة الإنسان: 3]

فبيَّن لنا سبحانهُ و تعالى طريق الهُدى و طريق الضلال ، و أيضاً بيَّن لنا آيات تدل على وجوده و حكمته و عظمته ، فإمَّا أن يتّبع الإنسان طريق الهُدى ، طريق يبني بهِ الآخرة ، و يكون مؤمِناً شاكراً لِنِعَمِ الله سبحانهُ و تعالى ، و إما أن يتَّبع الإنسان طريق الضلال ، طريقٌ يُراعي ضعفه ، يُراعي كُل ما تشتهي نفسه في هذه الدُّنيا الفانية ، طريقٌ لا يتّخذهُ سوى البهيم الَّذي لا يتَّخِذ سوى سبيلُ الشَّهوة ، طريقٌ

قد يبني به في هذه الدُّنيا ، و يعمّر فيها مثل ما عمّر مَن كانوا قبله ، و يهدم في الآخرة ، فينتقِل حينئذٍ مِن العمارةِ إلى الخراب ، و يكون كافِراً يجحدُ بنِعَمِ الله .

هذا ، و اللهُ أعلى و أعلَم .

خِتاماً : تذكّروا دائماً ، أنَّ أهمَّ شيء في هذه الدُّنيا الفانية رضا الله عزَّ و جل ، و ثانياً : أنَّ هذه الدُّنيا **فانية** .

فإذا وصلَ الإنسان إلى تلك المرحلة اليقينيَّة بالحياة الثّانية ، الَّتي هي خيرٌ و أبقى ، سيفعل كُل ما بوسعهِ فعله لكي يكونَ مِن أهلِ الجنَّة . .

فواللهِ ، لم يكُن منهج الله صعباً إلّا على مَن عوَّد نفسه بالخضوع لما تشتهِ نفسه ، بل هو منهج يسيرُ عليهِ العُقلاء الَّذين يعلمون أنَّ للمعصية لذّة ، و لكن لم تكُن كلذّةِ الطّاعة !

بيعوا الضَّلالة ، و اشتروا طريق الهُدى ، فإنَّها تجارة رابحة .

قال الله سبحانهُ و تعالى في سورةِ البقرة :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: 16]

الله سبحانهُ و تعالى ، لا يزيدُ في قلبِ المؤمن إلّا السّكينة و حب الطّاعة و كره الضلالة ، و لا يُضلُّ إلّا من شاء الضلالة .

فالله سبحانهُ و تعالى خلقنا ، و هدانا (أي بالفطرة) ، فبئس شراءُ الضّلالة بالهُدى .

دائما ما نسمع قوله سبحانهُ و تعالى ، و الكلام يكون موجّهاً لمَن يكونُ غارقاً في غفلته ، أي في غفلة عميقة !

أَفَلَا تَعْقِلُونَ

نسأل الله ، أن تكون هذه الدُّنيا بأيدينا لا في قلوبِنا ، و ألّا نكون كما في قوله سبحانهُ و تعالى في سورة البقرة :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ

السّعي شيء ضروري ، و لكن يجب أن يسعى الإنسان لآخرته أكثر مِمّا يسعى في الدُّنيا ، لما تشتهِ نفسه ، بل يجب في كُل سعي نسعاه في هذه الدُّنيا ، أن يكون فيه و لو شيء بسيط ينفعُنا في آخِرتنا .

كثيراً ما ترى شخصاً يسعى ، و يسعى ، و يشقى ، و يُكلّف نفسه فوق طاقتها ، و كل هذا لأجل شيء مادّي يُلبّي تلك الرغبة الّتي في داخله !

و قليلاً ما ترى شخصاً مُتوكّلاً على الحيّ ، يأخُذ بالأسباب في سعيهِ و هو على ثقة بخالق هذه الأسباب .

تراهُ في كُل عمل ينتفع بهِ دنيويّاً ، يحاول أن ينفع به نفسهُ في الآخرة ، و يسعى أن يفعل ما يرضي الله ..

و تذكَّروا ، أن تُحافِظوا على الصَّلاة ، فالمُحافظة عليها مِن صفات المؤمنين ، كما قال الله سبحانهُ و تعالى في سورة المؤمنون :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

[سورة المؤمنون: 9]

فيجب على كُل مُسلم ، مهما كثرت حولهُ الفِتَن ، و مهما كثروا حولهُ غير المُصلّين ، يجب أن يُحافظ على صلاته ، لأنّها سبب في الفلاح في الدنيا و الآخرة ، لذلك نسمع الأذان يقول (حيَّ على الصّلاة ، حيَّ على الفلاح)

بل و أيضاً يجب أن نتذكّر قوله سبحانهُ و تعالى في سورة المعارج: ﴿ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج: 19]

و الهلوع ؛ هو شديد الحرص ، و قليلُ الصّبر .

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾

[سورة المعارج: 20]

أي ؛ إذا فقد ماله ، أولادهُ ، تراهُ يائساً ليس صابراً على الابتلاء ..

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

[سورة المعارج: 21]

أي ؛ إذا أنعم اللهُ عليه و رزقه ، لم يُنفق ، و لم يشكر الله على هذه النِّعم .

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج: 22]

ثُمَّ استثنى من هؤلاء ، المُصلّين ، فترى المُصلّي صابراً على الابتلاء ، شاكراً لنِعَمِ اللهِ في الرّخاءِ قبل الشّدّة ، ينفِقُ ما رزقهُ الله لوجه الله ، لا لشيءٍ آخر .

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[سورة المعارج: 23]

ثم وصفهُم الله عزَّ و جل بالمُحافظين على صلواتهم ، و يُداومون على أوقاتها ، و لا يكونون كمَن يُصلّي و يقطع ..

أو يأتي الصّلاة و هو مُتثاقل !

كما قال الله سبحانهُ و تعالى في سورة التوبة :

وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

[سورة التوبة: 54]

فسبحان الله ، لا يأتون الصلاة إلا و هم كسالى و لا ينفقون إلا و هم كارهون !

فنرى أنَّ هنالك ربط بينَ التكاسُل في الإتيان إلى الصلاة ، و البغض عند الإنفاق !

لذلك عندما قال الله سبحانهُ و تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج: 22]

قال بعدها : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[سورة المعارج: 23]

لذلك ، يجب علينا جميعاً ، أن نُحافظ على الصّلاة ،و أن نداوم عليها و على أوقاتها ، و أن تكون صلاة الفجر في وقتها ، و العصرُ في وقتها .. و هكذا .

إلّا مَن كان مُضطراً لوجود سبب يمنعه ، و السبب يجب أن يكون الإنسان مُسافراً أو غيرها من الضرورات التي تفرض على الإنسان الجمع بين صلاتين ، و لكن كثيراً ما نرى الجمع بين صلاتين تكون عن تكاسُل و الأسباب تافهة !

كمَن قال سأكمل المُباراة ثم أُصلّي ، أو سأُصلّي بعد الانتهاء من الفلم ... و الخ.

فبدايةً يجب أن نعلم أنَّ الصلاة سبب من أسباب الفلاح ، فيجب المحافظة عليها ، و المُحافظة عليها ليست صعبة !

فلا يُكلّفُ الله نفساً إلا وُسعها .

و يجب أن نتذكّر قوله سبحانه و تعالى في سورة الماعون : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾

[الماعون: 4]

فويل للمُصلّين ؟

مَن هم ؟

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

[الماعون: 5]

أي ؛ الّذي لا يُصلّي في الوقت المحدود ، و يغفل عن صلاته ، و يجمع بين الصلوات ، و الأسباب تافهة كما ذكرنا .

فكُلّما أذّن المؤذّن ، يجب أن نتذكّر هذه الآيات ، لكي تكون دافع لنا أن نُصلّي و لا نغفل عن الصلاة في وقتها .

لذا ؛ تقرّبوا مِن الله و من كتابه .

هذا ، و الحمدُ للهِ حمداً كثيراً ، و الصَّلاةُ و السَّلامُ على خيرِ المُرسلين مُحمَّد ﷺ .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزانِ حسناتِنا ، و في ميزانِ كُل مَن استفاد مِنه و دلَّ عليهِ ليستفيد غيره ، فالدال على الخيرِ كفاعِله .

إن أصبتُ فَمِنَ الله سبحانهُ و تعالى و توفيقه ..

و إن أخطأتُ ، فمن نفسي .

و أسأل الله الكريم أن يغفرَ لي و لكم .

الفهرس :

٢_____ إهداء

٤_____مُقدّمة

٥_____الارتقاء

المقصد الأول : النّعمة ١١

١٤_____مبدأ الرضا

٢٠_____ مبدأ الرضا عن ما نملك

٢٣_____الفقراء

٢٦_____فقر العقل

٢٨_____النعمة و سبب زوالِها

٣١_____الخرافةُ بِعينِها

٣٦_____الارتباط بين الشّاب و الفتاة تحت مُسمّى الحب

٤٠_____المُجتَمع

المقصد الثّاني : الدِّين ٤٤

٥٠_____أوَ كُلّما اشتهيت اشتريت ؟

٥٣_____العبادة / العادة

٥٦_____ما لا يراهُ العين ، ليس دليلاً على عدم وجوده

٦٢_____ألا بِذكرِ اللهِ تطمَئِنُّ القُلوب

٦٦_____مِتعةُ التدبُّر

٩٦_____خِتاماً

Instagram : hussam_alhatim